التوقيعات الشعرية في العصر العباسي

دراسة موضوعية فنية

دكتور

محمود صبحي سيد أحمد شاهين

الأستاذ المساعد في جامعة الجوف بالمملكة العربية السعودية

ومدرس الأدب والنقد في جامعة الأزهر كلية اللغة العربية بالمنوفية

التوقيعات الشعرية في العصر العباسي
دراسة موضوعية فنية

محمود شاهين
جامعة الجوف بالمملكة العربية السعودية
جامعة الأزهر كلية اللغة العربية بالمنوفية

الملخص

فإن التوقيعات الشعرية من الموضوعات الشائقة الرائقة في الدراسات الأدبية؛ ولكونها لم تحظ بدراسة فنية مستقلة كالتوقيعات النثرية، كانت أهمية الموضوع وجدارته بالدراسة، إذ لم تقف عند موضوع معين بل استبحرت في موضوعات عدة، كالإخوانيات، بما تشتمل عليه من صداقات وتهنئات واعتذارات، وعتاب وشكوى، وما إلى ذلك من هذه المعاني الاجتماعية، كما اشتملت على الهجاء والظرف والفكاهة والنقد والنصح والحكمة، كما أن بعضا منها جاء ردودا على المستشفعين وطالبي العفو والصفح والسعاة والوشاة والمتظلمين.

وهذه التوقيعات الشعرية خلت من العصرين الجاهلي وصدر الإسلام وبدأت في العصر الأموي على يد عبد الملك بن مروان وابنه سليمان بن عبد الملك، ولكنها لم تكن من الكثرة بمكان شأن كل البدايات، وكأنها إرهاص للتوقيعات في العصر العباسي، لذا تخيرت العصر العباسي لأنه ميدان رحب لتوقيعات صنوف من الموقعين كالخلفاء والوزراء والكتاب والشعراء.

من ثم شحذت همتي صوب هذا الموضوع لدراسته دراسة موضوعية فنية، وقد بينت أن هذا الشعر مناط التوقيع- في معظمه- ليس للموقعين

أنفسهم، وإنما هو مستلهم من شعر غيرهم، وقد ضمنوه توقيعاتهم لأن معظمهم لا يجيد فن القريض، أو أنهم كانوا يجيدونه ولكن موهبتهم الشعرية لم تكن تسعفهم به في ذلك الوقت، أو أنهم وجدوا في الشعر مناط التوقيع حكمة أو مثلا سائرا. كما بينت أن لغة هذه التوقيعات الشعرية تتسم- في معظمها- بالخطابية الزاعقة التي أسس لها شيوع أساليب الأمر والنهي والاستفهام التعجبي والشرط والقول على البديهة، ومن ثم ندرت الصور الفنية سواء الجزئية أو الكلية وقلت صور البيان نتيجة اللغة المباشرة المسطحة في كثير من التوقيعات، إلى جانب أن هذه التوقيعات الشعرية جاءت على معظم البحور الشعرية – تامة ومجزوءة- مثلما جاءت على كثير من حروف الروي من غير القوافي الحوش.

هذا بالإضافة إلى أن بعض التوقيعات ترددت نسبتها بين بحرين شعريين، وربما يعود ذلك لأنها أبيات مفردة لا تستطيع أن تحكم بنسبتها إلى بحر شعري دون متابعة بقية الأبيات.

هذا وما عدمنا وجود التضمين العروضي في بعض النتف والمقطوعات الشعرية، ورددنا ذلك إلى قدرة الشاعر واتساع نفسه. ثم ختمت البحث بالحديث عن بنية التوقيع التي لم تأت على نمط واحد؛ بل جاءت في شكل شطر من بيت أو بيت مفرد، أونتفة أومقطوعة؛ وهذا لأن كثيرا من هذه التوقيعات جاءت مجاوبات شعرية (ردودا على شعر مرسل) من قبل الموقَّع إليه، فكان لزاما من قبل الموقِّع أن تأتي أبياته على قدر الأبيات المرسلة، تقل أو تزيد قليلا.

ثم ختمت البحث بخاتمة رصدت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال المعايشة للنماذج على كثرتها وانديا حها.

الكلمات المفتاحية : التوقيعات- الشعرية- العصر العباسي- الدراسات الأدبية

Poetic Signatures in the Abbasid Era

Mahmoud Shahin

Department of Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language, Al–Azhar University, Menoufia,Egypt.

EMAIL: drmahmoud740@gmail.com

Abstract

The poetic signatures did not receive an independent technical study such as prose signatures, from this point of departure, the significance of the current research is aroused, as it did not stand at a particular topic, but it has navigated in several topics, such as the brotherhood, including friendships and congratulations and apologies, reproach and complaint, and so on. It also included irony, circumstance, humor, criticism, advice, and wisdom.

Since these signatures were devoid in the pre-Islamic and Islamic periods and began in the Umayyad era, but they were not so many, Abbasid era is chosen for its vastness and the diversity of signatures such as caliphs, ministers, writers and poets.

Then I perfected my task towards this subject to study it objectively and artistically. Moreover, I have shown that this poetry signature area came in a variety of structure because its language characterized by rhetoric and straightness and most of its poetry came from the poetry of others and not from the signatories themselves.

Keywords: Poetic- Signatures- the Abbasid Era- Literary Studies

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين، وبعد،،،،

فكان ولا يزال الأدب العربي القديم متدفقا في عطائه كريما في مجانيه، وكأنما فيه من كرم العرب وجودهم ما يدفع إلى دعوة القراء والدارسين أن يحلسوا على موائده الشهية الثمار النافعة الغذاء، وكان من فضل الله – عز وجل– عليَّ أن دعيت إلى مائدة من هذه الموائد حبا في العربية ووفاء لأهلها وتراثها.

وقد زخر العصر العباسي بفنون متنوعة شعرا ونثرا، وكان من بينها فن التوقيع الذي تعود كثير من الباحثين والدارسين أن يدرسوه في الجانب النثري فقط لارتباطه بالكتابة، وغفلوا عن دراسته في الشعر العربي الذي يذخر بكثير من التوقيعات الشعرية المتنوعة بتنوع أغراضها وموقِّعيها، فاستبحرت في أغراض شعرية عدة كالإخوانيات، بما تشتمل عليه من صداقات وتهنئات واعتذارات، وعتاب وشكوى، وما إلى ذلك من هذه المعاني الاجتماعية، كما اشتملت على الهجاء والظرف والفكاهة والنقد والنصح والحكمة، كما أن بعضا منها جاء ردودا على المستشفعين وطالبي العفو والصفح والسعاة والوشاة والمتظلمين.

ولا ريب – والحالة كهذه – أن يتنوع الموقعون فكانوا ساسة وخلفاء ووزراء وكتابا وأمراء وفقهاء وشعراء.

ومن ثم راقني هذا الفن – بعد أن عثرت على كثير من نصوصه – فانعطفت لدراستها دراسة موضوعية فنية في هذا البحث الموسوم بـ

"**التوقيعات الشعرية في العصر العباسي" دراسة موضوعية فنية.**

ومن عنوانه تتضح خطته، فهو من فصلين اثنين يسبقهما تمهيد وتتلوهما خاتمة، ففي التمهيد وقفت على تعريف التوقيع عموما لغة واصطلاحا وبدايات التوقيعات الشعرية في التراث من خلال النماذج التي عثرت عليها.

ثم جاء الفصل الأول بعنوان: الدراسة الموضوعية،، وفيه صنفت التوقيعات الشعرية إلى محاور، هي بالترتيب: الرد على طالبي العفو والصفح، الرد على المستشفعين، الإخوانيات، الرد على طالبي العطايا والصلات، الرد على السعاة والوشاة، الرد على الشكاة والمتظلمين، الظرف والمفاكهات، التوقيعات النقدية، التوقيعات الهجائية، ومتفرقات.

ثم جاء الفصل الثاني بعنوان: الدراسة الفنية، تلك التي تستوخي رصد أهم الفنيات في التوقيعات الشعرية، فكان الحديث عن أربعة أمور، هي اللغة والصور الفنية والموسيقى وبنية التوقيع.

ثم ختمت البحث بخاتمة رصدت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

ولا شك أن هذا الموضوع طرقه كثيرون في الجانب النثري، أما الجانب الشعري فلم يطرقه أحد إلا من قاموا بجمع كثير من هذه التوقيعات، كالدكتور محمد محمود الدروبي، والدكتور صلاح محمد جرار

في مصنفهما الموسوم بـــجمهرة توقيعات العرب، المنشـــور بجامعـــة آل البيت ١٤٢٠ه/ ٢٠٠٠ م. وقد وقع هذا السفر في ثلاثة أجزاء، جمع فيـــه المؤلفان كثيرا من التوقيعات النثرية والشعرية معا دون دراسة.

وثمة دراسة أخرى للدكتور/ محمد سالم قريميدة بعنوان: فن التوقيعات في الأدب العربي في عصوره الزاهرة من العصر الإسلامي حتى نهايـــة العصر العباسي، تاريخا ودراسة، وهي رسالة دكتوراه بكلية الآداب جامعة طرابلس ٢٠١٢م.

وقد تحدث المؤلف عن التوقيعـــات الشـــعرية والنثريـــة وتطورهـــا وخصائصها عبر عصورها المختلفة بما في ذلك الأندلس، وله جهد رائع ومشكور في جمع الكثير من التوقيعات الشعرية وتوثيقها والتعليق عليها، لكنه لم يفرد دراسة فنية للتوقيعات الشعرية أو النثرية. هذا بالإضافة إلـــى أن الرسالة مرفوعة على صفحات الإنترنت خالية من ترقيم الصـــفحات، ولذلك لم أعتمد عليها على الرغم من الجهد المبذول فيها.

وأسال الله أن يوفقنا ويسدد خطانا ويجنبنا الزلل، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم إنه خير مأمول وأكرم مسئول، وهو نعم المولى ونعم النصير.

دكتور

محمود صبحي شاهين
أستاذ مساعد بجامعة الجوف
بالمملكة العربية السعودية
ومدرس الأدب والنقد بجامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بالمنوفية

التمهيد

أولا: تعريف التوقيع لغة واصطلاحا:

التوقيع لغة:

التوقيع "تفعيل" وهو مصدر للفعل الثلاثي المضعف "وقَّع" وجذره الثلاثي المجرد "وقع" الدال في عمومه على سقوط الشيء ووقعه، ففي مقاييس اللغة: "الْوَاوُ وَالْقَافُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فُرُوعُهُ، يَدُلُّ عَلَى سُقُوطِ شَيْءٍ. يُقَالُ: وَقَعَ الشَّيْءُ وُقُوعًا فَهُوَ وَاقِعٌ...وَمَوَاقِعُ الْغَيْثِ: مَسَاقِطُهُ. وَالنَّسْرُ الْوَاقِعُ، مِنْ وَقْعِ الطَّائِرِ، يُرَادُ أَنَّهُ قَدْ ضَمَّ جَنَاحَيْهِ فَكَأَنَّهُ وَاقِعٌ بِالْأَرْضِ. وَمَوْقَعَةُ الطَّائِرِ: مَوْضِعُهُ الَّذِي يَقَعُ عَلَيْهِ... وَمِنْهُ التَّوْقِيعُ، وَهُوَ أَثَرُ الدَّبَرِ بِظَهْرِ الْبَعِيرِ وَمِنْهُ التَّوْقِيعُ: مَا يُلْحَقُ بِالْكِتَابِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهُ."(١)

التوقيع اصطلاحا:

يقول البطليوسي (ت ٥٢١ه): "وأما التوقيع، فإن العادة جرت أن يستعمل في كل كتاب يكتبه الملك، أو من له أمر ونهى، في أسفل الكتاب المرفوع إليه، أو على ظهره، أو في عرضه، بإيجاب ما يسأل أو منعه، كقول الملك: ينفذ هذا إن شاء الله، أو هذا صحيح. وكما يكتب الملك على

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١٣٣/٦ وما يليها- ابن فارس- تحقيق/ عبد السلام محمد هارون- دار الفكر- ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

ظهر الكتاب: لترد على هذا ظلامته. أو لينظر في خبر هذا، أو نحو ذلك"[١]

وعرفه اليوسي بقوله "أما التوقيع فهو ما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه ممن رفع إليه كالسلطان ونحوه من ولاة الأمر كما إذا رفعت إلى السلطان أو إلى الوالي شكاة فكتب تحت الكتاب أو على ظهره: ينظر في أمر هذا أو يستوفى لهذا حقه أو نحو ذلك. فهذا توقيع"[٢].

ويعرفه الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجي بأنه: " فن بليغ من فنون النثر، ولون رائع من ألوان الكتابة، وهو عبارة موجزة بليغة يكتبها الخليفة أو الأمير أو الوزير في أسفل الكتب الواردة إليه، بإبداء الرأي فيما يرفع إليه من شكاوى، أو يقدم له من رجاء، أو يستشار في أمر" [٣].

ومن هنا نفهم أن التوقيع فن كتابي وليس شفاهيا كالخطابة والمناظرة والمحاورة، وهي عبارة عن ردود أو مجاوبات من الخلفاء أو الوزراء أو الأمراء أو الكتاب أو الشعراء أو الإخوان على ما يعرض عليهم أو يرفع إليهم تكتب عادة في النهاية أو الظهر، وهي أشبه اليوم بتأشيرات المسئولين.

---

(١) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ١/ ١٩٥- أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، تحقيق ا/ مصطفى السقا، د/ حامد عبد المجيد- دار الكتب المصرية ١٩٩٦م.

(٢) زهر الأكم في الأمثال والحكم ٢/٢٢٠- نور الدين اليوسي - تحقيق د/ محمد حجي، ود/ محمد الأخضر- الطبعة الأولى- الشركة الجديدة- دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب ١٤٠١/١٩٨١م.

(٣) الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي٣٢٣- د/ محمد عبد المنعم خفاجي- دار الجيل بيروت ١٤١٠ه/١٩٩٠م.

أما مفهوم التوقيع الشعري على وجه الخصوص فلا يكاد يخرج عن المفهوم النثري، إلا أنه بالشعر، فهو شعر يوقع به الموقِّع على ما يعرض عليه، وقد يكون الشعر الموقَّع به من شعره أو من شعر غيره على ما سيتضح فيما يأتي – إن شاء الله تعالى– في صفحات البحث.

أما فيما يخص بداية التوقيعات الشعرية فإنني لم أعثر لها على نماذج في العصر الجاهلي ولا في عصر صدر الإسلام، وأكاد أجزم بأن أول توقيع شعري كان لعبد الملك بن مروان في عصر بني أمية على ما نطقت به الدراسة – فيما وقع تحت يدي– من توقيعات شعرية.

ثانيا: بدايات التوقيعات الشعرية في التراث

بعد رحلة طويلة ومعايشة دءوب مع المظان الأدبية واللغوية والتاريخية لم أجد توقيعات شعرية في العصرين الجاهلي وصدر الإسلام، وربما يعود ذلك لقلة من كانوا يجيدون الكتابة وقتئذ،، ولكن مع انتشار الكتابة وتنظيم الدواوين ظهرت التوقيعات عموما وكان من بينها التوقيعات الشعرية، في العصر الأموي، حيث لجأ الخلفاء والأمراء إلى الكتابة برأيهم على ما يرفع إليهم، وكان مما ساعد على ذلك عناية الخلفاء بإنشاء ما يسمى في ذلك العصر "الأموي" بديوان الإنشاء.

ومن ثم كانت بدايات التوقيعات الشعرية في ذلك العصر على يد عبد الملك بن مروان[1]، إذ له ثلاثة توقيعات شعرية:

---

(١) عبد الْملك بن مَرْوَان بن الحكم ابْن أبي الْعَاص بن أُميَّة بن عبد شمس ابْن عبد منَاف الْأَمَوِي، أَمِير الْمُؤمنِينَ بُويِعَ بِعَهْد من أَبِيه فِي خلَافَة ابْن الزبير وَبَقِي على مصر وَالشَّام وَابْن الزبير على بَاقِي الْبِلَاد مُدَّة سبع سِنِين ثمَّ غلب عبد الْملك على الْعرَاق وَمَا والاها حَتَّى قتل ابْن الزبير واستوثق الْأَمر لعبد الْملك كَانَ عابداً ناسكاً بِالْمَدِينَةِ وَشهد يَوْم الدَّار مَعَ أَبِيه وَهُوَ ابْن عشر سِنِين وَحفظ أَمرهم. (الوافي بالوفيات ١٣٩/١٩– الصفدي– تحقيق/ أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى– دار إحياء التراث – بيروت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

الأول: وقع في كتاب:[من الرمل تاما]

كيف يرجون سقاطي بعدما شمل الرأس مشيب وصلع"[1]

فهو يسخر من أولئك الذين يتوقعون منه الخطأ بعد أن وصله رسول الموت: المشيب وتساقط الشعر، فعليهم أن يعتبروا، ويبتعدوا عن الزلل، ومن ثم يقف موقفا نفسيا من أولئك الشانئين الذين يقعدون كل مرصد لمحاولة لحوق الشر به،

وهذا البيت الذي وقع به الخليفة عبد الملك بن مروان مستلهم من بيت الشاعر الجاهلي سويد بن أبي كاهل اليشكري[2] من عينيته التي مطلعها: [من الرمل تاما]

بسطت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسع[3]

والتوقيع برواية "شمل الرأس مشيب وصلع" أدق من رواية "لاح في الرأس بياض وصلع" كما في بيت سويد من قصيدته؛ لأن ظهور البياض في الرأس قد يكون أحد الأمراض الشائعة وقتئذ، إلى جانب أن الفعل لاح يبدو معه المشيب عن بعد، وقد يكون الصلع عاملا من عوامل ظهور

---

(١) العقد الفريد٤/ ٢٨٩- ابن عبد ربه الأندلسي – الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية – بيروت١٤٠٤هـ.

(٢) سُوَيْد بن أبي كَاهِل شبيب بن حَارِثَة بن حَنْبَل بن مَالك بن عبد سعد بن جشم ابْن ذبيان بن كنَانَة بن يشْكر أَبُو سعد شَاعِر مقدم من مخضرمي الْجَاهِلِيَّة وَالْإِسْلَام. (الوافي بالوفيات١٦/٣٠.

(٣) ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري ٢٣- مراجعة / محمد جبار المعيبد، جمع وتحقيق/ شاكر العاشور- الطبعة الأولى- دار الطباعة الحديثة بالعراق ١٩٧٢م. والبيت "كيف يرجون سقاطي" في ص ٣٢ برواية "لاح في الرأس بياض وصلع".

البياض من بعيد، أما عبارة "شمل الرأس مشيب" فتكشف عن أن المشيب لا يحتاج إدامة نظر من قريب أو بعيد.

كما أن الاستفهام التعجبي في البيت أحال لغته إلى لغة خطابية حيث لا صعوبة في فهم البيت ولا إعمال فكر، وهذا إلى جانب أن الموقِّع يعول على سمة مهمة من سمات الإقناع التي هي مطلب من مطالب الخطابة، وهي استناده في توقيعه إلى معيار خلقي يتمثل في عدم إيذاء الطاعن في السن، ووجوب احترامه وتقديره وتوقيره، وكأنه أراد تعرية الموقَّع له من أي غطاء خُلُقِي لعمله، ويعده خاليا من المروءة التي توجب احترام الكبير ذي الشيبة وتوقيره، ألم يقل الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم– في هذا المعنى: " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا"؟!!![1]

والثاني: وقع به لمن سعى إليه في عبد الحميد [2]: [من الطويل]

أقلوا عليه لا أبا لأبيكمُ من اللؤم أو سدوا المكان الذي سدوا[3]

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥٢٩/١١– أحمد بن حنبل تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، وآخرون– إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي– الطبعة الأولى– مؤسسة الرسالة ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م

(٢) عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب المدني الأعرج، ولي الكوفة لعمر بن عبد العزيز– رضي الله عنه– وتوفي في حدود العشرين ومائة (الوافي بالوفيات ٤٢/١٨– الصفدي– تحقيق/ أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى– دار إحياء التراث – بيروت – ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٣) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٤٧٥/١ – أبو القاسم الأصفهاني تحقيق/ عمر الطباع– دار القلم – بيروت. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

فالموقِّع لم يكن همه إلا أن يرد هؤلاء الوشاة الذين ينفثون سمومهم وأكاذيبهم عن طريق فعلي الأمر: "أقلوا، وسدوا".

وهذا البيت الذي وقع به الخليفة عبد الملك بن مروان ترددت نسبته إلى غير شاعر، منهم الحطيئة المتوفى ٤٥هـ[١] في ديوانه [٢] ، وابن زيدون المتوفى ٤٦٣هـ[٣] في ديوانه [٤]، وابن حيوس المتوفى ٤٧٣هـ

---

(١) جَرْوَل هُوَ الحطيئة الشَّاعِر الْمَشْهُور أَبُو مليكَة ابْن أَوْس بن مَالك من بني عبس لقب بالحطيئة لقُرْبه من الأَرْض فَإِنَّهُ كَانَ قَصيرا..وَهُوَ مخضرم أدْرك الْجَاهِلِيَّة وَالْإِسْلَام فَأسلم ثمَّ ارْتَدَّ. (الوافي بالوفيات ٥٤/١١)

(٢) ديوان الحطيئة ١٤٠- شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني- تحقيق/ نعمان أمين طه- الطبعة الأولى- شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

(٣) أَحْمد بن عبد الله بن أَحْمد بن غَالب بن زيدون المَخْزُومِي الأندلسي الْقُرْطُبِيّ أَبُو الْوَلِيد... وَكَانَ من أَبنَاء وُجُوه الْفُقَهَاء بقرطبة برع أدبه وجاد شعره وَعلا شَأْنه وَانْطَلَق لِسَانه ثمَّ انْتقل عَن قرطبة إِلَى المعتضد عباد صَاحب إشبيلية سنة إِحْدَى وَأَرْبَعين وَأَرْبع مائَة فَجعله من خواصه ... وَكَانَ مَعَه فِي صُورَة وَزِير. (الوافي بالوفيات ٥٦/٧)

(٤) ديوان ابن زيدون ١٨٠- شرح وضبط وتصنيف/ كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة- الطبعة الأولى- مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاؤه بمصر ١٣٥١هـ/١٩٣٢م، وقد ذكر في هامش الصفحة : "وليس هذا البيت لابن زيدون، بل هو اقتباس، وأصل البيت كما أثبتناه، وهو من القصيدة المشهورة التي يقول فيها الشاعر:

وتعذلني أبناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذي علمت سعد"

يعني الحطيئة

[1] في ديوانه [2]، والواقع أن البيت للحطيئة قولا واحدا، لأن الخليفة قد توفي بعد وفاة الحطيئة بإحدى وأربعين سنة وقبل وفاة ابن زيدون وابن حيوس بما يُنَيِّف على ثلاثة قرون.

الثالث: توقيعه في كتاب لابن الأشعث: [من الطويل]

فما بال من أسعى لأجبر عظمه حفاظا، وينوي من سفاهته كسرى؟![3]

فالبيت أخذه عبد الملك من شعر ترددت نسبته لغير شاعر، فهو حائر بين "عدد من الشعراء، منهم: وعلة بن الحارث الجرمي الجاهلي، ومنهم: ابن الذئبة ربيعة بن عبد يا ليل، وهو شاعر فارسي جاهلي" [4]، ثم وظفه عبد الملك لخدمة الغرض الذي يرمي إليه، وهو استمالة الرأي العام ضد ابن الأشعث، فهو يحفظه في غيبته، ويجبر ما انكسر بينهما، وابن الأشعث

---

(١) ابْن حيوس مُحَمَّد بن سُلْطَان بن نحمد بن حيوس الْأَمِير مصطفى الدولة أَبُو الفتيان الغنوي الدِّمَشْقِي أحد الشُّعَرَاء الفحول...ولد سنة أَربع وَتِسْعين وَثلث مايَة بِدِمَشْق وَتُوفِّي بحلب فِي شعْبَان سنة ثلث وَسبعين وَأَرْبع ماية وَقيل سنة سِتّ وَسِتِّينَ. (الوافي بالوفيات ٣/٩٩ وما بعدها)

(٢) ديوان ابن حيوس١/١٥٤- عني بنشره وتحقيقه/ خليا مردم بك- دار صادر بيروت- ١٤٠٤ه/١٩٨٤م. وقد أشار المحقق في هامش الصفحة أن البيت للحطيئة أخذه ابن حيوس على سبيل التضمين.

(٣) العقد الفريد٤/ ٢٨٩.

(٤) شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري» ١/٤٦٨- محمد بن محمد حسن شُرَّاب- الطبعة الأولى- مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٧ م.

لحماقته ورعونته يقابل هذا الإحسان بالإساءة، وكأنه يقصد بذلك تعريته من أي غطاء ديني أو خلقي.

والبيت يحمل استفهاما تعجبيا أحال لغته إلى لغة خطابية، وهذا الاستفهام التعجبي غرضه إيضاح الرأي العام، وضمان عدم لوم الخليفة عبد الملك بن مروان على أي فعل يتخذه ضد ابن الأشعث، مع ما في البيت من طباق بين (أجبر- كسري) وبين (حفاظا الواقعة مفعولا لأجله وبين سفاهته) ولو قلنا إن في قوله: "أسعى" وقوله: "ينوي" طباقا سياقيا لم نبعد عن الحقيقة؛ إذ الأولى تحمل في طياتها دلالات الإصلاح والخير، في حين تحمل الأخرى دلالات المكر والشر. ولو دققنا النظر في قوله: "حفاظا" الواقعة مفعولا لأجله وقوله: "من سفاهته" الواقعة جملة معترضة لألفينا نكتة لطيفة في أن عمل الخير يعم، وأن عمل الشر مقصور على صاحبه، ولذلك لم يقل، وينوي سفاهةً كسري، ومجيء الجملة هنا اعتراضية لمزيد من اللفت والانتباه بعكس ما إذا قال: "وينوي كسري"

هذا بالإضافة إلى توقيع شعري آخر لدى سليمان بن عبد الملك بن مروان[1]، حيث كتب قتيبة بن مسلم إلى سليمان يتهدّده بالخَلْع، فوقع في كتابه: [من الكامل تاما]

---

(١) سُلَيْمَان بن عبد الْملك كَانَ من خِيَار مُلُوك بني أميّة ولي الْخلَافَة فِي جُمَادَى الْآخِرَة سنة ستّ وَتِسْعين بعد الْوَلِيد بالعهد من أَبِيه وروى قَلِيلا عَن أَبِيه وَعبد الرَّحْمَن بن هُنيدة... مولده سنة ستّين وتوفي يَوْم الْجُمُعَة عَاشر صفر سنة تسع وَتِسْعين لِلْهِجْرَةِ بمرج دابق. (الوافي بالوفيات ١٥/٢٤٥)

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يا مربع[1]

فمربع هذا رجل من بني جعفر بن كلاب، كان يروي شعر جرير[2] فنذر الفرزدق[3] دمه، فقال جرير هذا البيت ساخرا من الفرزدق، والظاهر أن الخليفة سليمان أراد في التوقيع أن يقلل من أهمية ما كتبه قتيبة، بالاستخفاف به ووصمه بالجبن، على الرغم من أن شجاعة قتيبة لا يختلف عليها اثنان، بل أراد الخليفة أن يبين أن تحدي قتيبة للخليفة كان في غير محله لتباين المستوى والإمكانيات، ذلك التحدي الذي كانت نهايته أن قتل على يد القبائل العربية في المشرق سنة(٩٦ه/٧١٤م).

وغير خاف أن سليمان بن عبد الملك في هذا التوقيع نراه يستدعي قول الشاعر الأموي "جرير" في هجاء الفرزدق[4] وأن هذا الاستدعاء يحمل في طياته أبعادا فنية من استخدام الفعل "زعم" بمعنى "ظن" والتسويف في الفعل "سيقتل" بما يحمل من المماطلة والتردد، ثم إزجاء البشارة لمربع؛ سخرية بالفرزدق وكلامه.

---

(١) العقد الفريد ٤/٢٩٠.

(٢) جرير بن عَطِيَّة بن الخطفي... التَّمِيمِي الشَّاعِر الْمَشْهُور كَانَ من فحول الشُّعَرَاء فِي الْإِسْلَام وَكَانَ بَينه وَبَين الفرزدق مهاجاة ونقائض وَهُوَ أشعر من الفرزدق عِنْد أَكثر أهل الْعلم. (الوافي بالوفيات ١١/٦٢)

(٣) هَمام بن غَالب بن صعصعة ... الْمَشْهُور صَاحب جريرٍ (الوافي بالوفيات ٢٧/٢٢٤).

(٤) ديوان جرير٣/ ٩١٦- تحقيق د/ نعمان محمد أمين طه- الطبعة الثالثة – دار المعارف ١٩٨٦م

الفصل الأول
الدراسة الموضوعية

لم تقتصر التوقيعات الشعرية على موضوع واحد، بل استبحرت في شتى الموضوعات، وهذا شيء طبعي ناجم من تعدد المضامين التي تحتويها التوقيعات الشعرية وتباينها، لذا آثرت أن أصنف هذه التوقيعات في عدة محاور على النحو الآتي:

المحور الأول: الرد على طالبي العفو والصفح:

وكان هؤلاء يرسلون رسائلهم إلى ذوي المكانة وأولي الأمر ومن بيدهم الحل والعقد، وفي طياتها نبرات الخوف منهم؛ لأنهم في مخيلتهم يشغلون الفضاء الزمكاني، ومن خلال استقراء النماذج تبين أن الرد كان يمضي في سبيلين: **أولهما: قبول العفو والصفح.**

ثانيهما: عدم قبول العفو والصفح ورده.

فمن الأول: توقيع المأمون (ت٢١٨ه/ ٨١٣م) [١] على رقعة لإبراهيم بن يحيى المبارك اليزيدي الشاعر[٢]، حيث قال إبراهيم: "كنت يوما عند المأمون وليس معنا إلا المعتصم، فأخذت الكأس من المعتصم فعربد عليَّ،

---

(١) الْمَأْمُون بِاللَّه بن الرشيد ابْن الْمهْدي بن الْمَنْصُور ولد سنة سبعين وَمِائَة بَايعُوهُ أول سنة ثَمَان وَتِسْعين وَمِائَة وَكَانَ يكنى أَبَا الْعَبَّاس فَلَمَّا اسْتخْلف اكتنى بِأبي جَعْفَر وَتُوفِّي سنة ثَمَان عشرَة وَمِائَتَيْنِ. (الوافي بالوفيات ٣٤٩/١٧ وما يليها).

(٢) يحيى بن المبارك بن المغيرة أبو محمد مولى بني عدي بن عبد مناف، كان مؤدب المأمون وعالما باللغة، وتوفي سنة ٢٠٢ه عن أربع وستين سنة. (ينظر: معجم الأدباء ٢٨٢٨/٦- ياقوت الحموي- تحقيق د/ إحسان عباس- الطبعة الأولى- دار الغرب الإسلامي- بيروت ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م).

فلم احتمل ذلك وأجبته فأخفى ذلك المأمون ولم يظهر ذلك الإظهار، فلما صرت من الغد إلى المأمون كما كنت أصير، قال لي الحاجب: أمرت أن لا آذن لك، فدعوت بدواة وقرطاس وكتبت: [من الطويل]

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو

سكرت فأبدت مني الكأس بعض ما كرهت وما إن يستوي السكر والصحو

ولا سيما إذ كنت عند خليفة وفي مجلس ما إن يليق به اللغو

ولولا حميا الكأس كان احتمال ما بدهت به لا شك فيه هو السرو

تنصلت من ذنبي تنصل ضارع إلى من إليه يغفر العمد والسهو

فإن يعف عني ألف خطوي واسعا وإلا يكن عفو فقد قصر الخطو

قال: فأدخلها الحاجب ثم خرج إليَّ فأدخلني، فمد المأمون باعيه، فأكببت على يديه فقبلتهما، فضمني إليه وأجلسني، قال المرزباني: وحدثني العباس بن أحمد النحوي أن المأمون وقع على ظهر هذه الأبيات:[من الخفيف تاما]

إنما مجلس الندامى بساط للمودات بينهم وضعوه

فإذا ما انتهوا إلى ما أرادوا من حديث ولذة رفعوه[1]

(١) تاريخ بغداد ١٧٠/٧- الخطيب البغدادي- تحقيق د/ بشار عواد معروف- الطبعة الأولى- دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م. وجمهرة توقيعات العرب ٩٧/١.

والصورة في البيتين على الرغم من اعتمادها على التشبيه في البيت الأول والطباق بين البيتين في "وضعوه ورفعوه" فهي قريبة طبعت البيتين بطابع التقريرية المباشرة.

ومن الثاني: توقيع أبي جعفر المنصور(١)، حيث "لما ظهر إبراهيم بن عبد الله بن الحسن (٢) بالبصرة صار إليه سديف(٣) هارباً من المنصور، وأظهر عداوة بني العباس، وصعد يوماً المنبر يخطب فقام سديف مقبلاً عليه بوجهه وقال:[من السريع]

---

(١) أَمِير الْمُؤمنِينَ الْمَنْصُور عبد الله بن مُحَمَّد بن عَليّ بن عبد الله بن عَبَّاس بن عبد الْمطلب العباسي الْخَلِيفَة أَبُو جَعْفَر الْمَنْصُور أمه سَلامَة البربرية ولد قريب سنة خمس وَتِسْعين... أَتَتْهُ الْبيعَة بالخلافة بِمَكَّة وعهد إِلَيْهِ بالخلافة أَخُوهُ السفاح فولي اثْنَتَيْنِ وَعشْرين سنة... توفّي محرما على بَاب مَكَّة فِي سادس ذِي الْحجَّة سنة ثَمَان وَخمسين وَمِائَة. (الوافي بالوفيات ٢٣٣/١٧)

(٢) هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (٩٧ه- ١٤٥ه/ ٧١٦م- ٧٦٣م) أحد الأمراء الشجعان في نجد، خرج بالبصرة على المنصور...، قتله حميد بن قحطبة كان شاعرا عالما بأخبار العرب وأيامهم وأنسابهم وأشعارهم. (الأعلام ٤٨/١- الزركلي- الطبعة الخامسة عشرة- دار العلم للملايين – بيروت لبنان).

(٣) سديف بن ميمون المكي الشاعر مولى آل أبي لهب كان شديد السواد أعرابيا بدويا وهو الذي حرض السفاح على قتل من كان في محبسه من بين أمية فقتلوا ثم دخل على المنصور في خلافته ووجد عنده رجلا أمويا فحرضه على قتله بأبيات... فقتله. (الوافي بالوفيات ٧٨/١٥)

إيـــه أبـــا إســـحاق مليتـــها في صـــحة منـــك وعمـــر طويـــل

اذكـــر هـــداك الله ذحـــل الألى يســـرى بهـــم في مصـــمتات الكبـــول

يعني أباه ومن حمل معه. فلما قتل إبراهيم هرب سديف وتوارى حتى سكنت تلك الفورة ثم كتب إلى المنصور يسأله أن يمن عليه بالعفو وكتب إليه بهذه الأبيات:[من الرمل]

أيهـــا المنصـــوريـــا خـــير العـــرب خـــير مـــن ينميـــه عبـــد المطِلـــبْ

أنـــا مـــولاكم وأرجـــو عفـــوكم فـــاعف عـــني اليـــوم مـــن قبـــل العطَـــبْ

فوقع المنصور في كتابه بخطه:[من الخفيف]

لم يلـــدني محمـــد بـــن علـــي إن تســـميتُ بعـــدها بـــوليّ

ثم كتب إلى عبد الصمد بن علي عمه[1] يأمره بقتله فيقال: إنـــه قطـــع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه، وقيل أيضاً: إنه حمل إلى المنصور فدفنـــه حياً".[2]

---

(١) عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي... ولد ســـنة ست ومائة أو أربع ومائة... وتوفي عبد الصمد سنة خمس وثمانين ومائة. (الـــوافي بالوفيات ٢٧٢/١٨)

(٢) طبقات الشعراء ٤١ وما يليها- ابن المعتز – تحقيق/ عبد الستار أحمـــد فـــراج- الطبعة الثالثة- دار المعارف بمصر.

ومن ثم لم يرض المنصور بقبول الاستعطاف فحسب، بل أمر بقتل سديف، مبينا أن علاقة الولاء التي تعلل بها لم تكن ذريعة لقبول الاستعطاف.

وأصل البيت: إن تسميت بعدها بولي لم يلدني محمد بن علي، لكن تقديم جملة "لم يلدني محمد بن علي" التي تدل على الجواب، على جملة الشرط، يدل على تصميم الخليفة على الإيقاع بالشاعر، وهذا ما حصل عندما كتب الخليفة إلى عامله يأمره بقتل سديف في أسرع وقت.

وكتوقيع هارون الرشيد [1]على رسالة استعطاف بعث بها يحيى بن خالد البرمكي[2] إليه من السجن ضمنها قصيدة مطلعها: [من الكامل مجزوءا]

---

(١) هَارُون بن مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عَليّ بن عبد الله بن الْعَبَّاس أَمِير الْمُؤمنِينَ أَبُو جَعْفَر الرشيد بن الْمهْدي بن الْمَنْصُور يُقَال لَهُ المظفّر والموفّق والمؤيّد ... وَكَانَ فِي أيّامه فتح هرقلة ... مولده سنة سبع وَأَرْبَعين وَمِائَة فِي نصف شَوَّال بِمَدِينَة الريّ وبويع لَهُ بِمَدِينَة السَّلَام فِي شهر ربيع الأول سنة سبعين وَمِائَة يَوْم مَاتَ الْهَادِي وَكَانَ وليّ الْعَهْد بعده وَله يَوْمئِذٍ اثْنَتَانِ وَعشْرين سنة وَنصف وَتُوفِّي بطوس لإحدى عشرَة لَيْلَة من جُمَادَى الْآخِرَة سنة ثَلَاث وَتِسْعين وَمِائَة وَله سِتّ وَأَرْبَعُونَ سنة غير شَهْرَيْن. (الوافي بالوفيات ١١٨/٢٧)

(٢) يحيى بن خالد بن برمك، أبو الفضل (١٢٠ - ١٩٠ هـ = ٧٣٨ - ٨٠٥ م):الوزير السريّ الجواد، سيد بني برمك وأفضلهم.، وهو مؤدب الرشيد العباسي ومعلمه ومربيه... وأمره المهدي (سنة ١٦٣) وقد بلغ الرشيد الرابعة عشرة من عمره، أن يلازمه، ويكون كاتبا له، وأكرمه بمئة ألف درهم، وقال: هي معونة لك على السفر مع هارون.ولما ولي هارون الخلافة دفع خاتمه إلى يحيى، وقلده أمره، فبدأ يعلو شأنه. واشتهر يحيى بجوده وحسن سياسته. واستمر إلى أن نكب الرشيد البرامكة فقبض عليه وسجنه في " الرقة " إلى أن مات". الأعلام ١٤٤/٨.

قُـــلْ للْخَلِيفَـــةِ ذِي الصِّـــنَا ئِـــعِ والعطايـــا الفَاشِـــيَهْ

فَلَمَّا رأى الرشيد هَذِه الأبيات وَقع تحتهَا قَوْله: [من الْكَامِل مجزوءا]

أَجْـــرَى القَضَـــاءُ عَلَـــيْكُمُ مَـــا جِئْتُمُـــوهُ عَلَانِيَـــهْ

مِـــنْ تَـــرْكِ نُصْـــحِ إِمـــامِكُمْ عِنْـــدَ الأُمُـــورِ البَادِيَـــهْ

يَـــا آلَ بَرْمَـــكَ إِنَّمَـــا كُنْـــتُمْ ملوكـــاً عادِيَـــهْ

فَكَفَـــرْتُمُ وعَصَـــيْتُمُ وجحـــدتُمُ نَعْمَائِيَـــهْ

هَـــذِي عُقُوبَـــةُ مَـــنْ عَصَـــى معبـــودَهُ وعَصَـــائِيَهْ

"وضرَبَ اَللَهُ مَثَلا قَرية كَانتَ آمِنَة مُطمَئِنَةَ" (١).

فالتوقيع هنا عبارة عن مقطوعة شعرية جاءت مجاوبة من الرشـيد- متفقة الوزن والقافية- على رسالة يحيى بن خالـد البرمكـي، وفحـوى التوقيع هو عدم قبول الاستعطاف لعدة أسباب ذكرها الرشيد في مقطوعته، وكأن التوقيع جاء تعليلا للرفض، بل استغرق في التعليل حينما قدم الشاهد من القرآن الكريم جزاء لمن قابل نعمة الله بالجحود والنكران.

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ٤١١/٣ وما بعدها- العصـامي المكي- تحقيق/ عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض- الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية – بيروت- ١٤١٩ هـ /١٩٩٨ م. وينظر جمهـرة توقيعـات العـرب ٧٩/١.

بل قد يتجاوز الأمر رفض الاستعطاف وعدم قبوله إلى توبيخ المستعطف وتقريعه، ومن ذلك ما يروى أن ابن الزيات [١] لما تولى الوزارة للخليفة المعتصم[٢] بالله عزل إبراهيم بن العباس (الصولي) [٣] عن الأهواز، فقصده الصولي ليعرف سبب عزله، ووقف ببابه يستأذن الدخول فلم يؤذن له، فكتب رقعة وطلب من الحاجب إدخالها، قائلا فيها: "...وما أقول إني تبدلت بحالة كنت بها مغتبطاً حالةً أنا في مكروهها، بل أقول إني قهرت، فلما فزعت إلى ناصري، وجدت من ظلمني أخف نيةً في ممن

---

(١) ابن الزَّيَّات (١٧٣ – ٢٣٣ هـ = ٧٨٩ – ٨٤٧ م) محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة، أبو جعفر، المعروف بابن الزيات: وزير المعتصم والواثق العباسيين، وعالم باللغة والأدب، من بلغاء الكتاب والشعراء. نشأ في بيت تجارة في الدسكرة (قرب بغداد) ونبغ، فتقدم حتى بلغ رتبة الوزارة. وعول عليه المعتصم في مهام دولته.
وكذلك ابنه الواثق. ولما مرض الواثق عمل ابن الزيات على توليه ابنه وحرمان المتوكل، فلم يفلح. وولي المتوكل فنكبه، وعذبه إلى أن مات ببغداد. وكان من العقلاء الدهاة، وفي سيرته قوة وحزم. وله (ديوان شعر – ط) (الأعلام ٢٤٨/٦)

(٢) مُحَمَّد بن هَارُون أَمِير الْمُؤمنِينَ أَبُو إِسْحَاق المعتصم بن الرشيد بن الْمهْدي ابْن الْمَنْصُور ولد سنة ثَمَانِينَ وَمِائَة... وَبُويعَ بعد الْمَأْمُون بِعَهْدِ مِنْهُ إِلَيْهِ فِي رَابِع عشر شهر رَجَب سنة ثَمَانِي عشرَة وَمِائَتَيْنِ... وَملك ثَمَانِي سِنِين وَثَمَانِية أشهر... وَمَات لَيْلَة الْخَمِيس لإِحدى عشرَة لَيْلَة بقيت من ربيع الأول سنة سبع وَعشْرين وَمِائَتَيْنِ. (الوافي بالوفيات ٩٤/٥ وما يليها)

(٣) إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، أبو إسحاق: كاتب العراق في عصره. أصله من خراسان، وكان جده محمد من رجال الدولة العباسية ودعاتها. ونشأ إبراهيم في بغداد فتأدب وقرّبه الخلفاء فكان كاتبا للمعتصم والواثق والمتوكل. (الأعلام ٤٥/١)

استنصرت به، وأحمد الله كثيراً وأشكره ! وكتب في آخر الرقعة:[من المتقارب]

وكنت أخي ياخاء الزمان فلما نبا صرت حرباً عوانا
وكنت إليك أذم الزمان فأصبحت فيك أذمّ الزمانا
وكنت أُعدّك للنائبات فهأنا أطلب منك الأمانا

فلما قرأها ابن الزيات فكر ساعة ثم وقع في آخرها: ارجع مذموماً، لا حاجة بنا إلى أُخوّتك ولا صداقتك ولا الاستعانة بك: [من المتقارب]

إذا ما بدأت امرأً جاهلاً ببرٍّ فقصّر عن حمله
ولم تُلْفِهِ قَائِلاً بالجميل ولا عارف العزّ من ذِلّه
فسمه الهوان فإنّ الهوان دواء لذي الجهل من جهله[1]

وهنا يلحظ أن التوقيع الشعري لدى ابن الزيات جاء إثر كلام نثري يبين العلة في عدم قبول الاستعطاف. كما يلحظ أن بالأبيات تضمينا

(١) إعتاب الكتاب ١٤٧ وما يليها- ابن الأبار- حققه وعلق عليه وقدم له/ الدكتور صالح الأشتر- الطبعة الأولى- مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م. ومحمد بن عبد الملك الزيات- سيرته، أدبه، تحقيق ديوانه ١٢٥ وما يليها- د/ يحيى الجبوري- الطبعة الأولى - دار البشير - عمان- الأردن ٢٠٠٢م. والأبيات ليست في ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات- شرح وتحقيق د/ جميل سعيد- المجمع الثقافي (د.ت). وجمهرة توقيعات العرب ٣٢٩/٢.

عروضيا مطولا [1]، حيث طالت المسافة بين فعل الشرط في البيت الأول وجملة جواب الشرط في البيت الأخير.

المحور الثاني: الرد على المستشفعين:

وذلك كما في توقيع يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب[2] في رقعة كتبها ابناه القاسم وأحمد يستشفعان لعباس غلام أبي الوفاء، وقد جنى جناية خاف أبا القاسم يوسف فيها خوفا شديدا:[من البسيط تاما]

لولا رعاية عباس وحرمته وقولكم لفجعناه بصحته

وما انبرى بائعا بالجور بسطته ولم يخف سطور ب فوق سطوته

---

(١) التضمين هو أن تتعلق قافية البيت أو لفظة مما قبلها بما بعدها دون أن تستقل بنفسها". ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ١/ ١٧١- ابن رشيق القيرواني – تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد – الطبعة الخامسة – دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة بيروت لبنان ١٤٠١ هـ /١٩٨١م.

(٢) ابن صَبِيح (٠٠٠ – نحو ١٨٠ هـ = ٠٠٠ – نحو ٧٩٦ م) يوسف بن القاسم بن صَبِيح العجليّ بالولاء، أبو القاسم: كاتب، من ساكني سواد الكوفة، من بيت بلاغة وفضل. كان من كتاب بني أمية. ولما آلت الدولة إلى بني العباس، استكتبه عبد الله بن علي (عم المنصور) فكان من خاصته. وله أشعار فيه. وخرج " عبد الله " على المنصور، داعيا إلى نفسه، فقاتله أبو مسلم الخراساني، فانهزم عبد الله واختبأ عن أخيه " سليمان بن علي " بالبصرة.

وانصرف ابن صبيح إلى أصحاب له من الكتاب، في ديوان المنصور، فاستكتبه المنصور وأرشده إلى الطريقة التي يودها في الكتابة. (الأعلام ٨/٢٤٤ وما يليها.)

قال الصولى: بائعا يعنى فاتحا يديه، كأنه يبوع ثوبا أو حبلا يقيسه بباعه[من البسيط تاما]

وقد وهبنا لكم عدوى جريرته ان لم يعد بعدها في مثل فعلته

ومن يجز باغترار حدّ قدرته يكن صريعا وشيكا تحت غرته[1]

ومن هنا ترك يوسف أمر جريرة عباس وما يترتب عليها لولديه واضعا شرطا أمام قبول شفاعتهما، هو أن يتوب عباس عن جنايته، ولا يعود لمثلها، وليعلم أن من استمرأ على ظلم الناس فستكون عاقبته وخيمة ونهايته أليمة، ولا أدل على ذلك من استخدام أداة الشرط وفعل الشرط وجوابه في البيت الأخير.

وقد يقابل الأمر بالرفض كما في توقيع علية بنت المهدي[2]، فقد أخبر أبو الفضل ميمون بن هارون قائلا: "حدثني أحمد بن سيف أبو الجهم، قال كان لعلية وكيل يقال له سباع، فوقفت على خيانته فصرفته وحبسته،

---

(١) الأوراق قسم أخبار الشعراء ١٦٢/١- الصولي - شركة أمل، القاهرة ١٤٢٥ هـ وينظر: وجمهرة توقيعات العرب ٤٣٧/٣ وما يليها.

(٢) عُلَيَّة بنت الْمهْدي أَمِير الْمُؤمنِينَ مُحَمَّد بن أَمِير الْمُؤمنِينَ عبد الله الْمَنْصُور العبَّاسيَّة أُخْت أَمِير الْمُؤمنِينَ الرشيد أُمُّها مَكنونة اشتُريت للمهدي بِمِائَة أَلف دِرْهَم وَكَانَت عُلَيَّة من أحسن النِّسَاء وأظرفهن وأعقلهن ذَات صِيَانة وأدب بارع تزوَّجها مُوسَى بن عِيسَى بن مُوسَى بن مُحَمَّد العبَّاسي وَكَانَ الرشيد يُبَالغ فِي إكرامها واحترامها وَلها ديوَان شعر معروفٌ بَين الأُدباء عاشت خمسين سنة وَتوفيت سنة عشر وَمِائَتَيْنِ. (الوافي بالوفيات ٢٢٨/٢٢ وما يليها.)

فاجتمع جيرانه إليها، فعرفوها جميل مذهبه وكثرة صدقته، وكتبوا بذلك رقعة فوقعت فيها: [من الطويل]

أَلَا أَيُّهَذَا الرَّاكِبُ الْعِيسَ بَلِّغَنْ ... سباعا وقُل إن ضَمَّ دارَكم السَّفْرُ

أَتَسْلُبُنِي مالِي وَلَوْ جَاءَ سَائِلٌ ... رَقَقْتَ لَهُ إِنْ حَطَّهُ نَحْوَكَ الْفَقْرُ

كَشَافِيَةِ الْمَرْضَى بِفَائِدَةِ الزِّنَا ... تُؤَمِّلُ أَجْراً حَيْثُ لَيْسَ لَهَا أَجْرُ(١)

فالأبيات ترفض- كما ترى- الاستشفاع، وفيها تسوغ علية رفضها، إذ تشبه تصدق وكيلها سباع على السائلين والمحتاجين بما سرقه من مالها بفعل المرأة البغي التي تجلب من وراء ممارستها المحرمة الأموال الكثيرة ثم تتبرع بها للمرضى للاستشفاء، وهي تظن أن في ذلك أجرا وليس ثمة أجر.

ويلحظ أن عليه قد عولت في التوقيع على أساليب النداء والأمر والاستفهام كما عولت على التشبيه في البيت الأخير، وعلى الرغم من ذلك جاءت الصورة قريبة.

المحور الثالث: الإخوانيات:

وهو "لون من الشعر يصور العلاقات الاجتماعية بين الشعراء وممدوحيهم، أو بينهم وبين أصدقائهم وأحبابهم، ففيه التهنئة والاعتذار،

(١) الأوراق قسم أخبار الشعراء ٦٣/٣.

والعتاب والشكوى، والصداقة والود، وما إلى ذلك من هذه المعاني الاجتماعية التي تربط بين الناس وبعض" (١)

ومنه توقيع إبراهيم بن محمد بن المدبر(٢)، حيث خاطبه أخوه أحمد(٣) "في نكبته وقد أهدى إليه شعره مجموعاً، فقرأه وكتب عليه بخطه: [من الوافر تاما]

أبا إسحق إن تكن الليالي عطفن عليك بالخطب الجسيم

فلم أر صرف هذا الدهر يجري بمكروه على غير الكريم"(٤)

---

(١) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ٢٦٧- د/ مصطفى الشكعة- القاهرة ١٩٥٨م.

(٢) إبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن عبيد الله بن الْمُدبر أَبُو إِسْحَاق الْكَاتِب كَانَ كَاتبا بليغاً شَاعِرًا فَاضلا ... خدم المتَوَكل مُدَّة طَوِيلَة، وولاه ديوَان الْأَبْنِيَة ولَم يزل فِي رُتْبَة الوزراء، وأحضر فِي سنة ثَلَاث وَسِتِّينَ للوزارة فاستعفى لعظم الْمُطَالبَة فاستكتبه الْمُعْتَمد لِابْنِهِ الْمُفَوض وَضم إِلَيْهِ دواوين ثمَّ إِن الْمُعْتَمد دفع إِلَى إِبْرَاهِيم ثَلَاث مائَة أَلف دِينَار وخلع عَلَيْهِ بتكريت... وتوفّي ببغداذ سنة تسع وَسبعين وَمِائَتَيْنِ وَولد سنة إِحْدَى عشرَة وَمِائَتَيْنِ. (الوافي بالوفيات ٦/٧١ وما بعدها)

(٣) أَحْمد بن مُحَمَّد بن عبيد الله الْمُدبر الْكَاتِب أَبُو الْحسن... تقلّد أَحْمد ديوَان الْخراج والضياع مجموعين للمتوكل إِلَى غير ذَلِك من الْأَعْمَال الجلية ثمّ تمالأ عَلَيْهِ الكتّاب فأخرجوه إِلَى الشَّام والياً عَلَيْهَا فكسب بهَا مَالا عَظِيما، ثمَّ قَتله أَحْمد بن طولون فِيمَا قبل سبعين وَمِائَتَيْنِ تَقْرِيبًا وَكَانَ فَاضلا يصلح للْقَضَاء وللبحتري فِيهِ مدائح مَاتَ تَحت الْعَذَاب قيل فِي سنة خمس وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ وَقيل سنة سبعين وَقيل سنة إِحْدَى. (الوافي بالوفيات ٨/٢٦)

(٤) إعتاب الكتاب ١٥٨ وما يليها.

فالتوقيع الشعري هنا ليس سوى مواساة لأخيه، وأن أخاه كان من الكرم بحيث كان عرضة لصروف الدهر التي لا تصيب إلا الكرام.

وغير خاف ما وقع بين البيتين من تضمين عروضي فقد جعل جملة جواب الشرط في بداية البيت الثاني مباشرة.

ومن ذلك أيضا توقيع الصاحب بن عباد [1]، حيث أهدي العميري قاضي قزوين إليه كتبا وكتب معها: [من الخفيف تاما]

العميري عبدُ كافي الكفاة ومن اعتد في وجوه القضاة

خدم المجلس الرفيع بكتب مفعمات من حسنها مترعات

فوقع الصاحب تحتها: [من الخفيف تاما]

قد قبلنا من الجميع كتابا ورددنا لوقتها الباقيات

لست أستغنم الكثير فطبعي قول خذ ليس مذهبي قول هات [2]

وغير خاف أن هذا التوقيع مع ما يحمل من شكر الصاحب للعميري يحمل بداهة صاحبه وقوة عارضته، فقد جاء بيتاه على وزن بيتي العميري وقافيتهما مع ما يزينهما من أمشاج بديعية.

---

(١) إسْمَاعِيل بن عباد بن الْعَبَّاس بن عباد الْوَزير الملقب بالصاحب كَافِي الكفاة أَبُو الْقَاسِم من الطالقان وَهِي ولَايَة بَين قزوين وأبهر وَهِي عدَّة قرى يَقع عَلَيْهَا هَذَا الِاسْم... وَتُوفِّي سنة خمس وَثَمَانِينَ وثلاثمائة. (الوافي بالوفيات ٧٦/٩ وما يليها.)

(٢) قرى الضيف ٣/ ٢٣١- ابن أبي الدنيا - تحقيق : عبدالله بن حمد المنصور- الطبعة الأولى- أضواء السلف - الرياض ١٩٩٧م. وجمهرة توقيعات العرب ٣٨٩/٢.

ومن هذا أيضا توقيعه أيضا- أي الصاحب بن عباد- على شعر لأبي منصور الجرجاني[1] يدعوه فيه إلى تسمية مولود له رزق به: [من الرجز مجزوءا]

قـــل للـــوزير المرتجـــى كَـــافِي الكفـــاة الملتجـــى
إنّـــي رزقـــت ولـــدا كالصـــبح إذْ تبلجـــا
لَـــا زَالَ فِـــي ظلـــك ظـــلّ (م) المكرمـــات والحجـــى
فســـمه وكنـــه مشـــرفا متوجـــا

فوقع الصاحب تحتها: [من الرجز مجزوءا]

هُنْتَـــهُ هُنْتَـــهُ شمـسَ الضّـحَى بـدر الـدجى
فسَـــمّه مُحَسّـــنا وكَنّـــهِ أَبَـــا الرجـــا[2]

ومن يطالع شعر الصاحب بن عباد يدرك أن له أنماطا عالية من الشعر لكنه في هذا النموذج تراه يميل إلى المباشرة الناجمة من البديهة وكأنه يهدهد هذا الطفل، بل كأنه يريد أن يلبس لكل حالة لبوسها، فالشعر هنا في مولود وليس في ممدوح ولا فتح معقل ولا حدث جلل. ولعل هذا

(١) قرى الضيف ٣/ ٢٣١- ابن أبي الدنيا - تحقيق : عبدالله بن حمد المنصور- الطبعة الأولى- أضواء السلف – الرياض ١٩٩٧م. وجمهرة توقيعات العرب ٣٨٩/٢.
(٢) أظنه القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب الوساطة، فقد كان الصاحب يكتب فيه شعرا. (ينظر: الوافي بالوفيات ١٥٧/٢١)

يذكرني ببشار بن برد [1] حينما قيل له: "إنك لتجيء بالشيء الهجين المتفاوت، قال: وما ذاك؟ قال: قلت بينما تقول شعرا تثير به النقع وتخلع به القلوب مثل قولك: [من الطويل]

إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو تمطر الدما

إذا ما أعرنا سيدا من قبيلة ذرى منبر صلى علينا وسلما

تقول: [من الوافر مجزوءا]

ربابة ربة البيت تصب الخل في الزيت

لها تسع دجاجات وديك حسن الصوت

فقال: لكل وجه وموضع، فالقول الأول جد، وهذا قلته في ربابة جاريتي، وأنا لا آكل البيض من السوق، وربابة هذه لها عشر دجاجات وديك، فهي تجمع لي البيض وتحفظه عندها، فهذا عندها من قولي أحسن من "قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حبيبٍ ومَنزِلِ" عندك"[2]

(١) بشار بن برد بن يرجوخ ... مَوْلَاهُم الْمَشْهُور الشَّاعِر أَبُو معَاذ المرعث ... هُوَ فِي أول مرتبَة الْمُحدثين من الشُّعَرَاء المجيدين... اتَ سنة ثَمَان وَسِتِّينَ وَمِائَة وَقد بلغ نيفاً وَتِسْعين سنة. (الوافي بالوفيات ١٠/٨٥ وما بعدها)

(٢) الأغاني ٣/١٥٦ وما يليها- أبو الفرج الأصفهاني- تحقيق/ سمير جابر- الطبعة الثانية – دار الفكر- بيروت.

ومن ذلك أيضا توقيع أبي أحمد العسكري[1]، حيث روي عن أبي الحسن علي بن المظفر البندنيجي قال: كنت أقرأ بالبصرة على الشيوخ، فلما دخلت سنة تسع وسبعين وثلاثمائة إلى الأهواز، بلغني حال أبي أحمد العسكري، فقصدته وقرأت عليه، فوصل فخر الدولة والصاحب بن عباد، فبينا نحن جلوس نقرأ عليه وصل إليه ركابي ومعه رقعة ففضها وقرأها وكتب على ظهرها جوابها، فقلت أيها الشيخ: ما هذه الرقعة؟ فقال: رقعة الصاحب كتب إلي: [من الطويل]

ولما أبيتم أن تزوروا وقلتم ... ضعفنا فما نقوى على الوخدان

أتيناكم من بعد أرض نزوركم ... وكم منزل بكر لنا وعوان

نسائلكم هل من قرىً لنزيلكم؟ ... بملء جفون لا بملء جفان

... قلت: فما كتبت إليه في الجواب؟ قال قلت: [من الطويل]

أروم نهوضاً ثم يثني عزيمتي ... تعوذ أعضائي من الرجفان

فضمنت بيت ابن الشريد كأنما ... تعمد تشبيهي به وعناني

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان[2]

فلا شك أن مجاوبة أبي أحمد تشير إلى اعتلاله بالشيخوخة وعدم قدرته على الزيارة، فحيل بينه وبين مراده،

---

(١) الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، أبو هلال اللغوي العسكري. (معجم الأدباء ٩١٨/٢)

(٢) معجم الأدباء ٩١٦/٢ وما يليها.

ومن ذلك أيضا توقيع أبي نواس[1] بالتقريظ والمدح على شعر أبي العتاهية[2]، حيث روي أن أبا العتاهية "جلس في دكان وراق، وأخذ كتاباً فكتب على ظهره [من المتقارب] :

فواعجباً كيف يُعْصَى المَلِي ... كأَمْ كيف يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ ؟

وللّهِ في كل تحريكةٍ ... وتَسْكِينَةٍ في الورَى شاهِدُ

وفي كلِّ شيءٍ لَه آيَةٌ ... تَدُلُ على أَنه واحِدُ

وانصرف، فاجتاز أبو نواس بالموضع فرأى الأبياتَ، فقال: لمِنْ هذا ؟ فلودِدْتها لي بجميع شِعْرِي، فقيل : لإسماعيل بن القاسم، فوقع تحتها : [من المجتث] :

سبحانَ مَنْ خَلْقَ الْخَلْ ... قِ مِن ضعيفٍ مَهِينِ

فصَاغَهُ مِن قَرَارٍ ... إلى قَرَارٍ مكينِ

يَحُولُ شيئاً فشيئاً ... في الْحُجْبِ دونَ العيونِ

---

(١) أَبُو نواس الْحسن بن هَانِئ بن عبد الأول بن الصَّبَاح أَبُو عَليّ الْحكمِي...ولد أَبُو نواس بِالْبَصْرَةِ وَنَشَأ بهَا ثمَّ خرج إِلَى الْكُوفَة مَعَ والبة بن الْحباب ثمَّ صَار إِلَى بَغْدَاد... وَهُوَ فِي الطَّبَقَة الأولى من المولدين وشعره عشرَة أَنْوَاع وَهُوَ محيد فِي الْعشْرَة. (الوافي بالوفيات ١٢/١٧٦ وما يليها)

(٢) إِسْمَاعِيل بن الْقَاسِم بن سُوَيْد بن كيسَان مولى عنزة الْمَعْرُوف بِأبي الْعَتَاهِيَة مولده بِعَين التَّمْر وَنَشَأ بِالْكُوفَةِ وَسكن بَغْدَاد وَكَانَ يَبِيع الجرار واشتهر بمحبة عتبَة جَارِيَة الْمهْدي وَأَكْثر تشبيبه وتشبيهه فِيهَا... كَانَت وِلَادَته سنة ثَلَاثِينَ وَمِائَة ووفاته سنة ثَلَاث عشرَة وَمِائَتَيْنِ وَقيل سنة إِحْدَى عشرَة وَمِائَتَيْنِ. (الوافي بالوفيات ٩/١١١ وما بعدها.)

حتى بَدَتْ حركات مخلوقة مِنْ سُكُونِ[1]

فأبيات النواسي جاءت إعجابا بما قاله أبو العتاهية، وهي اقتباس من قول الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾[2]

وفي الوقت نفسه جاءت أبيات أبي نواس تفصيلا لما أجمله أبو العتاهية في أبياته، إذ إنه جعل في كل شيء آية تدل على وحدانيته، أما أبو نواس فقد حدد آية الله في خلق الإنسان من شيء ضعيف مهين حتى يصير مخلوقا متكاملا قادرا على الحركة.

ومن ذلك توقيع محمد بن عبد الملك الزيات وزير الخليفة العباسي المعتصم[3]، حيث "كان أبو تمام[4] لما مدح أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات بقصيدته التي أولها: [من الطويل]

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ٣٠٨/١- الحصري القيرواني- تحقيق د/ يوسف على طويل- الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م والأبيات في: ديوان أبي نواس ٦١٩- حققه وضبطه وشرحه/ أحمد عبد المجيد الغزالي- دار الكتاب العربي – بيروت لبنان. مع اختلاف يسير جدا في الرواية. وينظر: جمهرة توقيعات العرب ٤٤٦/٣.

(٢) سورة المؤمنون (الآيات ١٢-١٤)

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) أَبُو تَمام الطَّائِي) حبيب بن أَوْس بن الْحَارِث بن قيس بن الْأَشَج بن يحيى بن مردان يَنْتَهِي إِلَى طَيء أَبُو تَمام الشَّاعِر الْمَشْهُور... وَكَانَ أوحد عصره فِي ديباجة لَفظه وصناعة شعره وَحسن أسلوبه وَكَانَ لَهُ من المحفوظات مَا لَا يلْحقهُ فِيهِ غَيره قبل إِنَّه كَانَ يحفظ أَرْبَعَة عشر ألف أرجوزة للْعَرَب غير المقاطيع والقصائد وَله كتاب الحماسة وَهُوَ كتاب يدل على حسن اخْتِيَاره. (الوافي بالوفيات ٢٢٥/١١ وما يليها.)

لهـــان علينـــا أن نقـــول وتفعـــلا ونذكر بعض الفضل منك وتفضلا

وهي من أحسن شعره، وقّع له على ظهرها: [من الطويل]

رأيتـك سمـح البيـع سـهلا، وإنمـا يغـالى إذا مـا ضـنّ بالشـيء بائعـه

فأمـــا إذا هانـــت بضـــائع بيعـــه فيوشـك أن تبقـى عليـه بضـائعه

هـــو المـــاء إن أجمتّـــه طـــاب ورده ويفسـد منـه أن تبـاح مشـارعه"[1]

فغير خاف أن أبيات محمد بن عبد الملك الزيات جاءت تحمـل فـي طياتها حكما وهي في الأصل تعريض بشعر أبي تمام في مديحه غيره.

ونرى الموقع هنا في البيت الثالث يعول على التشبيه الضمني الـذي جاء تأكيدا وتعليلا للمعنى في البيتين الأول والثاني في وقت واحد، وكأنما الالتفات في البيت الأول إيماء إلى التشبيه الضمني فـي البيـت الأخيـر يربطهما الشرط التفصيلي في البيت الثاني.

ومن هذا أيضا أن أبا السمراء العلاء بن عاصم بن عصمة العسكري[2] العسكري[2]

---

(١) زهر الأداب ٣١٢/١. والأبيات مع اختلاف يسير في روايتها في: ديوان الـوزير محمد بن عبد الملك الزيات ٢٧٢ . وكذلك الأبيات مع اختلاف يسير في روايتها فـي: محمد بن عبد الملك الزيات- سيرته، أدبه، تحقيق ديوانـه ٢١٧. وينظـر: جمهـرة توقيعات العرب ٣٢٨/٢.

(٢) هو راوية للشعر، عالم بالأخبار، كان نديما لعبد الله بن طاهر، ومـن أصـدقائه المقربين، وقد رافقه إلى مصر لحرب ابن السري (ينظر: تـاريخ الأمـم والملـوك ١٧٣/٥- الطبري- الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية – بيـروت ١٤٠٧ه. وتـاريخ دمشق ٢١٩/٧ وما بعدها- ابن عساكر- تحقيق/ عمرو بن غرامـة العمـروي- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م)

كان نديم عبد الله بن طاهر[1] يأنس به، و كان يجاريه الشعر، فكتب إليه: [من البسيط مخلعا]

تقول لمّا جعلت أبكي ... سلوه باللّه مم يبكي ؟
فقلت أبكي لما أراه ... عمّا قليلٍ يكون منك
قالت فلا تخش قلت ما لي ... قلبٌ على الدهر يأتمنك
لا غرّني الدهر منك ودٌّ ... قالت ولا غرّني التبكّي

فوقع ابن طاهر في ظاهرها بديهاً: [من البسيط مخلعا]

لا أشتكي من هواك إلاّ ... إليك لو ينفع التشكي
حلفت جهد اليمين أن لا ... أزول إلاّ إليك عنك
كلفتني السعي في طريقٍ ... وعرٍ قليل الأنيس ضنك
فرحت بي في إسار قلبي ... ثم تشاغلت عند فكّي[2]

---

(١) أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان الخزاعي...وقد كان سيداً نبيلاً عالي الهمة شهماً، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه حسن الالتفات إليه لذاته، ورعايةً لحق والده وما أسلفه من الطاعة في خدمته، وكان والياً على الدينور... وكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة ثمان وعشرين ومائتين بمرو، وقيل: سنة ثلاثين، وهو الأصح. وقال الطبري: مات بنيسابور يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول من سنة ثلاثين ومائتين. (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٨٣/٣ وما بعدها- ابن خلكان - تحقيق د/ إحسان عباس- دار صادر - بيروت ١٩٠٠م.)

(٢) جمع الجواهر في الملح والنوادر- ٣٠١- أبو إسحاق الحصري- تحقيق/ علي محمد البجاوي- الطبعة الثانية - دار الجيل بيروت لبنان. وجمهرة توقيعات العرب ٢٣٩/٢ وما يليها.

فالواضح أن توقيع عبد الله بن طاهر يعد مجاوبة لقول أبي السمراء حيث توافق الشاعران في البحر الشعري الذي نسجا عليه وكذا في القافية وحركة الروي وفي الغرض الشعري نفسه، وهذا مما يشهد بضلاعة الموقع وسرعة بديهته في نظم الشعر.

ومن ذلك توقيع علي بن عيسى الوزير(١): "قد بلغت لك أقصى مرادك، وأنلتك غاية بغيتك، وسامحتك مسامحة محاب لك معني بك، وأنت مع ذلك تستقل كثيري لك، وتستقبح حسني فيك، فكيف وأنت كما قال رؤبة(٢): [من الرجز]

كالحوت لا يكفيه شيء يلهمه يصبح ظمآن وفي البحر فمه

وإذا تأملت حقيقة أمرك علمت أني عاملتك بما لا أجيب إليه غيرك ولا أعامل بمثله سواك."(٣)

---

(١) الْوَزِير الْبَغْدَادِيّ عَلِيّ بن عِيسَى بن دَاوُد بن الْجراح أَبُو الْحسن الْبَغْدَادِيّ الْكَاتِب وَزِير المقتدر والقاهر... توفّي سنة أَربع وَثَلَاثِينَ وَثَلَاث مائَة وزر للمقتدر مرَّتَيْنِ. (الوافي بالوفيات ٢٤٥/٢١.)

(٢) رؤبة بن العجاج واسْمه عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صَخْر يَنْتَهِي إِلَى زيد مَنَاة بن تَمِيم أَبُو الجحاف وَيُقَال أَبُو العجاج التَّمِيمِي الراجز الْمَشْهُور من أَعْرَاب الْبَصْرَة مخضرم

...تُوفِّي سنة خمس وَأَرْبَعين وَمِائَة وَكَانَ لغوياً عَلامَة. (الوافي بالوفيات ٩٩/١٤)

(٣) البصائر والذخائر ١٥٠/٩- أبو حيان التوحيدي- تحقيق د/ وداد القاضي- الطبعة الأولى- دار صادر – بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م. والبيت في مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج، وعلى أبيات مفردة منسوبة إليه ١٥٩- اعتنى بتصحيحه وترتيبه/ وليم بن الورد – دار ابن قتيبة للنشر والتوزيع بالكويت..

-وذكر الأصفهاني البيت لجرير، ينظر: محاضرات الأدباء ٧٣٢/١. والبيت ليس في ديوانه.

وغير خاف هنا أن لهجة الخطاب قد اشتدت وتيرتها لما تحمل من عتاب وتوبيخ وإيلام، وإلا فأي صورة أخرى يرسمها الوزير لهذا العامل الجشع الذي أنكر معروفه من وصفه بالحوت النهم الذي لا يكفيه شيء وبالظمآن الذي لا يرتوى ولو شرب ماء البحر؟!!! فالصورة تكشف عن داء الطمع والشّره، وحب الاستكثار من المال والمتاع، المتمكن من النفس، دون أن يقف بها الأمر عند حدّ القناعة أو الشبع أو الرضا، بل إنها كلّما تزايد لديها ما تشتهى وتكاثر ازدادت شرها وطلبا، ولذلك صار الشطر الثاني من البيت مثلا ذائعا، فقيل "أظمأ من حوت" (١) حيث يزعمون أنه يعطش في البحر.

والشاعر في هذا الرجز ناظر إلى قول الأعرابي الذي يهجو زوجته: [من البسيط تاما](٢)

خرقاءُ بالخيرِ ما تُهدى لوِجْهتِه ... وهيَ صَناعُ الأذى في الأهلِ والجارِ

ليستْ بشَبْعى ولو أوردتَها هَجَراً ... ولا بريّا ولو حلّتْ بذي قارِ

---

(١) المستقصى في أمثال العرب ٢٣٤/١- الزمخشري- الطبعة الثانية – دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٧م. ومجمع الأمثال ٤٤٧/١- الميداني- تحقيق/ محمد محيى الدين عبد الحميد- دار المعرفة – بيروت- لبنان.

(٢) حماسة الخالديين (الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين) ٤١- الخالديان- تحقيق د/ محمد علي دقة- وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية ١٩٩٥م.

المحور الرابع: الرد على طالبي العطايا والصلات:

من دأب الناس وديدنهم أن يلجأوا إلى أصحاب المكانة والجاه ليطلبوا منهم العطايا والصلات، آملين في سخائهم وكرمهم.

ومن ذلك أيضا توقيع المأمون حيث كتب إليه أحمد بن يوسف "يذكره بمن على بابه من الوفود فقال: إن داعي نداك، ومنادي جدواك، جمعاً ببابك، الوفود يرجون نائلك العتيد؛ فمنهم من يمت بحرمة، ومنهم من يدلي بخدمة؛ وقد أحجف بهم المقام، وطالت عليهم الأيام؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعشهم بسيبه، ويحتوش ظنونهم بطَوْلِه فعل، فوقّع المأمون في كتابه: الخير متبع، وأبواب الملوك مواطن لذوي الحاجات، فأحص أسماءهم، وأجل موائنهم، ليصير إلى كل امرئ منهم قدر استحقاقه، ولا تكدر معروفاً بالمطل والحجاب، فإن الأول يقول :[من الوافر تاما]

فإنك لن ترى طرداً لحرٍ كإلصاق به طرف الهوان

ولم يجلب مودة ذي وفاء كمثل البذل أو بسط اللسان[1]

ومن ثم نرى أن البيتين الشعريين الذين ختم بهما المأمون توقيعه ليس له، وإنما جاء بهما تدليلا واستشهادا على ما قاله نثرا. ولا يخفى مدى تأثر المأمون بشطر من بيت الحطيئة:

أزمعت ياسا مبينا من نوالكم ولن ترى طاردا للحر كالياس[2]

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٧/٢٦٠ وما يليها- النويري - الطبعة الأولى- دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ١٤٢٣ هـ.

(٢) ديوان الحطيئة ٢٨٣.

ومن ذلك أيضا توقيع عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي حيث كتب إليه بعض قواده يسأله حط خراجه والزيادة في أرزاقه، فوقع في كتابه: [من المتقارب]

أفي النوم أبصرت ذا كله؟ فخيرا رأيت، وخيرا يكون[1]

ونراه هنا يقدم المفعول به "خيرا" على عاملها "رأيت"؛ وذلك لأنها جاءت في سياق التفاؤل، وطمأنة صاحب الرقعة بنية منحه ما سأل على الرغم من وجود الاستفهام التعجبي في بداية البيت، وعلى ذلك يحمل أيضا تقديم خبر "يكون" "خيرا" الثانية عليها وعلى اسمها، وفي البيت جناس عفوي بين "خيرا" المكررة، ينم عن كرم الطبع؛ لأن الخير المرئي في المنام يصير خيرا كثيرا بعطاء ابن طاهر.

ومن ثم برع عبد الله بن طاهر في توظيف بيت أبي نواس في معرض توقيعه، فإذا كان بيت أبي نواس جوابا من محبوبته بأنه يحلم حلما وادعا، مع طمأنتها إياه، فإن عبد الله بن طاهر كذلك يرى بعض قواده يسأله حط خراجه والزيادة في أرزاقه، فلم يكن مطلبه واحدا، الأمر الذي جعل ابن طاهر يتعجب، فراح يستلهم قول أبي نواس السابق.

---

(١) خاص الخاص ٩٠- أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي- تحقيق/ حسن الأمين- دار مكتبة الحياة – بيروت / لبنان. وينظر : جمهرة توقيعات العرب ٢/٢٣٥.

ولا شك أن البيت واضح قريب لا يحتاج إلى إعمال فكر أو شحذ ذهن، قريب من لغة التخاطب اليومي، فكثير منا حينما تنهال عليه الطلبات ممن هو أدنى منه يقول له: "أنت تحلم" أو "أصح من نومك أو حلمك"

وكأن الاستفهام هنا يعد أداة منطقية، لأن عبد الله بن طاهر لا يمكن أن يرد طلب قائده، ولكنه عمد إلى تحريك القائد عقليا، وكأنه يسأله: هل هذا الذي تطلب منطقي؟! ولكن عبد الله بن طاهر – وهو حاكم خراسان– يطمئن القائد إلى ما تصبو إليه نفسه بقوله: "فخيرا رأيت وخيرا يكون"

ومن ذلك توقيع المستنجد بالله [1]، حيث امتدحه الشاعر الحيص بيص[2] بقصيدة واقترح فيها أن تجعل بعقوبا له معيشة وهي بلدة تغل في كل سنة اثني عشر ألف دينار فوقع المستنجد على ظهر قصته: [من الكامل تاما]

لو أن خفة عقله من رأسه لحق الغزال ولم يفته الأرنب[3]

(١) المُسْتَنْجِد باللَّه (٥١٠ – ٥٦٦ هـ = ١١١٦ – ١١٧٠ م) يوسف (المستنجد) بن محمد (المقتفي) بن المستظهر، أبو المظفر العباسي: من خلفاء الدولة العباسية ببغداد. بويع له بعد وفاة أبيه (سنة ٥٥٥ هـ فأزال المكوس ورفع الضرائب عن الناس...توفي ببغداد مخنوقا في الحمام. (الأعلام ٢٤٧/٨ وما يليها)

(٢) الحَيْصَ بَيْص (٠٠٠ – ٥٧٤ هـ = ٠٠٠ – ١١٧٩ م) سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي: شاعر مشهور، من أهل بغداد، وتوفي ببغداد عن ٨٢ عاما. (الأعلام ٨٧/٣)

(٣) الوافي بالوفيات ١٣٥/٢٩. وجمهرة توقيعات العرب ١٣٧/١

فهي صورة طريفة تحمل سخرية من المستنجد، لأن الحيص بيص طلب طلبا غير منطقي، والأسلوب كما ترى مبني على الشرط.

ومن ذلك أيضا توقيع أحمد بن المدبر[١] الكاتب بخطه على أبيات قد كتبها إليه ديك الجن[٢] :

ما عندنا شيء فنعطيهِ ولا يفي بالشكر شكريهِ

فإن رضِي بالشّعر عن شعره عارضت في حسن قوافيه

وإن يكن تقنعه دعوة دعوت ربي أن يعافيه

وإن رضِي ميسور ما عندنا أمرت نجحا أن يغديه

قال الصولي: هذه الأبيات مضطربة الإعراب في تركه فتح الفعل الماضي، وإن الحقّ في جواب الجحد: "ما عندنا فنعطيه"، وكذلك "أن يعافيه" و"أن يغدّيه".[٣]

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) عبد السَّلَام بن رغبان بالراء والغين الْمُعْجَمَة وَبعد الْبَاء الْمُوَحدَة ألف وَنون ابْن عبد السَّلَام أَبُو مُحَمَّد الْكَلْبِيّ الشَّاعِر الْحِمصِي الْمَعْرُوف بديك الْجِنّ كَانَ من شعراء بني الْعَبَّاس...مولده سنة إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِائَة وَتُوفِّي فِي حُدُود الْأَرْبَعين وَمِائَتَيْنِ أَخذ عَنهُ أَبُو تَمام الطَّائِي وَاجْتمعَ بِأبي نواس لما توجه إِلَى مصر.(الوافي بالوفيات ١٨/٢٥٧)

(٣) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ٤٣٢- المرزباني- تحقيق/ علي محمد البجاوي- نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. وينظر: جمهرة توقيعات العرب ٢/٢٢٠.

وكلام الصولي عن ركاكة الأبيات صائب، مع أنه لا يكاد يخرج عن مقتضيات النحو. والذي يبدو لنا أن سماحة الفصحى تجيز للشاعر مثل هذه الأمور لضرورة الوزن على الرغم من ميلنا إلى أن الضرورات الشعرية كالضرورات الشرعية ليست كلاً مباحا.

فتوقيع الأمير هنا يفصح بجلاء أن ديك الجن قد جاء طالبا بعض المال في الوقت الذي لم يكن لدى الأمير ما يقدمه له مما يليق به ويفي بشكره، وقد جاءت الأبيات الثلاثة الأخيرة تخييرا لديك الجن، وقد بني هذا التخيير على أداة الشرط "إن" مع فعل الشرط في الشطر الأول من كل بيت في الأبيات الثلاثة بعد الأول، وكذا جواب الشرط في الشطر الثاني في هذه الأبيات الثلاثة، فإن رضي بالشعر عوضا رد عليه الأمير بشعر يعارض حسن قوافيه، فإن لم يكن هذا دعوت الله له بدعوة المعافاة، وإن لم يكن هذا ولا ذاك ورضي بما توفر لدينا من القليل أمرنا له خادمنا "نجحا" أن يغديه.

ومجيء الشرط في البيت الثالث متضمنا الإقناع بدعاء صالح ينم عن ذكاء الأمير في خطاب شاعر بقامة ديك الجن؛ لأن الرضا أبقى من الإقناع وأطيب أثرا.

وغير خاف ما للأسلوب من أثر في لغة التوقيع الشعري وإحالتها إلى لغة خطابية زاعقة.

وقد يقابل صاحب الطلب (الصلة والعطية) بالرفض كما في توقيع أبي عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار وزير الخليفة المهدي

العباسي[1]، حيث وفد زياد الحارثي على المهدى وهو بالرّىّ ولىّ عهد، فأقام سنتين لا يصل إليه شيء من برّه، وهو ملازم كاتبه أبا عبيد الله، فلما طال أمره دخل إلى كاتبه فأنشده: [من البسيط تاما]

ما بعد حولين مرّا من مطالبة ولا مقام لذى دين وذى حسب

لئن رحلت ولم أظفر بفائدة من الأمير لقد أعذرت في الطّلب

فوقع أبو عبيد الله: يصنع الله لك!

فكتب إليه: [من الخفيف تاما]

ما أردت الدعاء منك لأنى قد تيقّنت أنه لا يجاب

أيجاب الدعاء من مستطيل جلّ تسبيحه الخنا والسّباب؟!![2]

ويلحظ أن التوقيع من أبي عبيد الله جاء بجملة نثرية لكنها منغومة شعريا، فلو افترضنا أن الكاف ساكنة في "لك" فإنه من ثنائي الخبب، وإذا

---

(١) ابن يَسَار(١٠٠ - ١٧٠ هـ = ٧١٨ - ٧٨٦ م) معاوية بن عبيد الله بن يسار، الأشعري بالولاء، أبو عبيد الله: من كبار الوزراء. أصله من طبرية، من بلاد الأردن. اشتغل بالحديث والأدب. واتصل بالمهديّ العباسي قبل خلافته، فكان كاتبه ووزيره. وكان المهدي يعظمه ولا يخالفه في شيء يشير به عليه. ولما آلت الخلافة إلى (المهدي) فوض إليه تدبير المملكة والدواوين، فنهض بالأعباء وجعل للوزارة شأنا. (الأعلام ٢٦٢/٧)

(٢) زهر الآداب ٢/ ١١٣.

وضعت الفتحة على كاف الخطاب مع مراعاة إشباعها تولد عنه (فاعلاتن- فعلا) وهو يحتمل عزوه إلى ثنائي الرمل أو ثنائي المديد [١]

ولا يقتصر الأمر على العطية والصلة فقد يطمح الإنسان لدى ذوي الجاه والسلطان وأصحاب المكانة في الدولة إلى وظيفة تعينه على أعباء الحياة، وذلك كتوقيع جعفر بن يحيى البرمكي[٢] حيث "رفع رجل إليه يسأله الاستعانة، وكان يعرفه ويخبره، فوقع على ظهر رقعته: [من الرمل تاما]

قد رأيناك فما أعجبتنا وبلوناك فلم نرض الخبر[٣]

---

(١) لعل فيما طرحناه من عبارة "ثنائيات" يكون قريبا من صورة المنهوك في البحور الشعرية وهي صورة مستعملة في البحور ولعل من أشهرها بحر الرجز على غرار ما في رائعة أبي نواس إلهنا ما أعدلك.
مليك كل من ملك.
لبيك قد لبيت لك. (ينظر: ديوان أبي نواس ٦٢٣)

(٢) جَعْفَر بن يحيى بن خَالِد بن برمك بن جاماس بن يستاسف الْبَرْمَكِي وَزِير هَارُون الرشيد
كَانَ من علّو الْقدر ونفاذ الْأَمر وَبعد الهمة وَعظم الْمحل وجلالة الْمنزلَة عِنْد هَارُون الرشيد بحالةٍ انْفَرد بهَا ولَم يُشَارك فِيهَا" (الوافي بالوفيات ١٢٠/١١ وما يليها)

(٣) وفيات الأعيان ٤٧٥/١- وينظر : جمهرة توقيعات العرب ٢٩٣/٢.
-وهذا البيت منسوب لعمر بن ابي ربيعة في الأمثال والحكم ١٣٧- نور الدين اليوسي - تحقيق د/ محمد حجي، د/ محمد الأخضر- الطبعة: الأولى- الشركة الجديدة- دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
-ولعائشة بنت طلحة في الأغاني ١٩٨/١١ وما يليها. لكن برواية:

قد رأيناك فلم تحل لنا وبلوناك فلم نرض الخبر

-كما نسب التوقيع ليحيى بن خالد في: كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل ١٠٩- أبو الطيب الوشاء - تحقيق د/ يحيى وهيب الجبوري- الطبعة الأولى- دار الغرب الإسلامي ١٤١١ه/١٩٩١م.

ومن ثم رفض جعفر أن يعين هذا الرجل، وقد كان عيَّنَه من قبل، لكنه خانه وتنكر له، ولم يحمد صنيعه، لذلك نجد جعفر قد استخدم في التوقيع فعلين يدلان دلالة قاطعة على فراسته وهما "رأيناك"، و"بلوناك" وغير خاف أن الأسلوب ها هنا تقريري مباشر كما هو المعتاد في حديث الأفراد اليومي.

المحور الخامس: الرد على السعاة والوشاة:

لم يخل أي عصر من العصور ولا أية بيئة من البيئات بدوية أو متحضرة من وجود فئة السعاة والوشاة الذين يحاولون الإيقاع بالناس وإحداث نوع من الفوضى، فكانوا يرسلون بالرسائل إلى أهل الحل والعقد ومن بيدهم مقاليد الأمر ليحققوا من ورائها أهدافا لأنفسهم، ولكني لم أعثر من توقيعات شعرية إلا على نموذج واحد،

وهو توقيع الخليفة المستظهر بالله[1] على سعاية رفعت إليه من بعض الأشرار، لما قبض على عميد الدولة بن جهير[2]، فقال: [من الخفيف تاما]

---

(١) المُسْتَظْهِر باللَّه (٤٧٠ – ٥١٢ هـ = ١٠٧٧ – ١١١٨ م) أحمد (المستظهر) بن عبد الله (المقتدي) بن محمد بن القائم، أبو العباس... خليفة عباسي. ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٤٨٧ هـ واتسق له الأمر على حداثة سنة. .. ومما يوصف به معرفته بالأدب والشعر. وله توقيعات تدل على فضل غزير. (الأعلام ١٥٨/١ وما يليها).

(٢) ابن جَهِير (٠٠٠ – ٥٠٨ هـ = ٠٠٠ – ١١١٤ م) علي بن محمد بن محمد بن جهير، أبو القاسم، زعيم الدين: وزير ابن وزير. كان في أيام القائم العباسي وبعد أيام المقتدي، متوليا كتابة ديوان " الزمام " ووزر للخليفة المستظهر مرتين، أقام فيهما نحو عشر سنين. وكان سديد الرأي حسن التدبير. (الأعلام ٣٢٩/٤)

غـيرمـا طـالبينَ ذحْـلا ولكـن مـال دهـر على أنـاس فمـالوا [1]

فالوشاية هنا قد رفعت للخليفة بعد أن قبض على عميد الدولة، فتبين للخليفة نفاق الناس وخداعهم، فمن كانوا مع عميد الدولة بالأمس صاروا عليه اليوم، فقد تغيروا وتبدلوا بعد فقد الوزير وزارته وتغير حاله من عظمه الجاه وبلهنية العيش إلى سجن وضنك، فأرادوا أن يزيدوا الوزير ضغثا على إبالة تشفيا وحقدا وشماتة.

ولا يخفى ما في قوله: "مال دهر" من كناية عن تقلب الدهر وعدم استقراره.

المحور السادس: الرد على الشكاة والمتظلمين:

لا شك أن الشكاة والمتظلمين كانوا يرفعون الرقاع إلى من بيدهم الحل والعقد في الدولة ليستغيثوا بهم في رفع ما لحق بهم من الظلم الذي يقع عليهم، فصار هذا الموضوع من أهم الموضوعات التي تناولتها التوقيعات عموما والتوقيع الشعري خصوصا، وعادة كانت تتصف بالحزم والشجاعة والاختصار من أولى الأمر والمعنيين تمشيا مع رغبتهم في اجتثاث جذور الظلم.

ومن ذلك توقيع جعفر بن يحيى البرمكي [2] حيث وقع في رقعة لأهل فارس، وقد رفعوا يشكون جور عاملهم [من الطويل]

---

(١) الوافي بالوفيات ٧/٧٧.

(٢) سبقت ترجمته.

ضمنت لكم -إن لم تعقني عوائق- بأن سماء الجور عنكم ستقلع[1]

فالتوقيع هنا بيت شعري واحد يقرر فيه الخليفة بأنه سيعيد الأمر إلى نصابه، وأن يقيم العدل في مكانه، إن أمن العوائق، وإخال أن جعفر يقصد بتلك العوائق الموت، وكأنه أراد ان يقول إن أطال الله عمري فإنني سأرفع الظلم عنكم.

وقوله: "سماء الجور" كناية عن شمول الظلم وإحاطته بأهل فارس كما تحيط السماء بمن تحتها،، هذا إلى أن العبارة بها تشبيه أضيف فيه المشبه به للمشبه، والمعنى الجور الذي يشبه السماء في العظم والارتفاع، وهذا مما يعضد المعنى الكنائي السابق.

ولا يخفى ما في البيت من احتراس أو اعتراض "إن لم تعقني عوائق" فالشاعر احترس بهذا عما يمكن أن يعوقه عن صرف الظلم عنهم مما لا طاقة له به.

وفي البيت إيحاء بصدق الموقع وإخلاصه لهؤلاء الشكاة.

ومن ذلك توقيع محمد بن عبد الله بن طاهر[2] "إذ لما حرم القيان كتب إِلَيْهِ أَحْمَد بْن عَبْد السَّلام الْخُزَاعيّ رقْعَة ولَم يُترجمها ودَسَّها فِي رقاع المتظلمين، فِيهَا:[من الخفيف تاما]

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ٥٣/١١- ابن فضل الله العمري- أشرف على تحقيق الموسوعة وحقق هذا السفر/ كامل سلمان الجبوري- الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ٢٠١٠م.

(٢) ابن طَاهِر (٢٠٩ – ٢٥٣ = ٨٢٤ – ٨٦٧ م) محمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي، أبو العباس: أمير، حازم، من الشجعان، من بيت مجد ورياسة. ولي نيابة بغداد في أيام المتوكل العباسي، وتوفي بها. (الأعلام ٢٢٢/٦)

عَرَفَاتُ الْأَمِيرِ أَيَّدَهُ اللَّهُ (م) بِطُولِ التَّوْفِيقِ وَالتَّسْدِيدِ

فَرَّقَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُدِلٍّ وَعُجَابٍ وَمُنْصِفٍ وَفَرِيدِ

كَمْ قُلُوبٍ قَدْ أَحْرَقَتْ فِي صُدُورٍ وَدُمُوعٍ قَدْ أَقْرَحَتْ مِنْ خُدُودِ

فَوَقَّعَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فِي رُقْعَتِهِ:[من الخفيف تاما]

حُسْنُ رَأْيِ الْأَمِيرِ فِي الْعُشَّاقِ وَفِرَارُ الْحُبِّ بِامْتِنَاعِ التَّلَاقِ

خَافَ أَنْ تُحْدِثَ الْمَلَالُ سُلُوًّا فَتَلَافَى الْهَوَى بِبَعْضِ الْفِرَاقِ

وَأَغَضُّ اللِّقَاءِ مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ تَنَاءٍ وَبُعْدِ طُولِ اشْتِيَاقِ

شَجَرٌ غَرْسُهُ كَرِيهٌ وَلَكِنْ يُجْتَنَى غِبُّهُ لِذِيذَ الْمَذَاقِ[1]

فلا شك أن التوقيع الشعري هنا جاء جوابا شافيا لهؤلاء الممتعضين من تحريم القيان، وقد جاء التوقيع معللا، فلجأ الموقع إلى التشبيه الضمني في البيت الأخير ليدلل على ما يقصده في الأبيات الثلاثة الأولى من أن اللقاءات المتكررة بين المحبين قد تحدث بينهم فتورا وتجافيا، وأن أفضل اللقاءات ما جاء بعد غياب أو اشتياق، فهذا وإن كان على النفس صعبا إلا أنه ماتع ومفيد مثل الشجر تماما يكون ثمره في بدايته مرا كريها، ولكن يحلو بعد نضجه. كما لا يخفى ما في قوله: "وأغض اللقاء" من استعارة رائعة.

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ٣٥٤ وما يليها- المعافى بن زكريا- تحقيق/ عبد الكريم سامي الجندي- الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م.

ومن هنا اتخذ التوقيعان السابقان جانبا إيجابيا ملموسا، حاسما وصارما، تفاعل فيه الموقعان مع أصحاب التظلمات والشكايات برفع الظلم ووضع الأمر في نصابه.

المحور السابع: الظرف والمفاكهات:

وقد تأتي التوقيعات حاملة ظرفا أو مفاكهة أو دعابة ترويحا للنفس من حياة الجد والصرامة والعبوس، وهروبا من واقع كثيرا ما أثقل كاهلها.

ومن ذلك توقيع جارية زبيدة حيث قعد الرشيد يوماً عند زبيدة، وعندها جواريها، فنظر إلى جارية واقفة عند رأسها فأشار إليها أن تقبله، فاعتلت بشفتيها، فدعا بدواة وقرطاس فوقع فيه: [من المجتث]

قبلتـــه مـــن بعيـــد فاعتـــل مـــن شـــفتيه

ثم ناولها القرطاس فوقعت فيه: [من المجتث]

فمـــا برحـــت مكـــاني حتـــى وثبـــت عليـــه[1]

فهذان توقيعان شعريان وليسا توقيعا واحدا، الأول من الخليفة والثاني من الجارية، حيث جلس الخليفة هارون الرشيد عند زوجته زبيدة وحولها جواريها، فطلب من إحداهن أن تعطيه قبلة عن طريق الإشارة، فاعتذرت له عن ذلك بتحريك شفتيها خوفا من زبيدة، ثم أمسك الرشيد بقرطاس ودواة وكتب فيها بيته، ثم أعطى القرطاس للجارية فوقعت ببيتها، ويلحظ أن توقيع الجارية إجازة لبيت الرشيد، فهو الذي أعطاها القرطاس لتوقع،

---

(١) العقد الفريد ٨/١١٤. وينظر: جمهرة توقيعات العرب١/٨٥، ٣/٤٧٤.

وقد دل توقيعها على سرعة بديهتها، كما جاء يحمل في طياته دعابة وظرفا وهذا أمر يتسم به الجواري في التوقيع.

ومن ذلك توقيع محمد بن يزداد المروزي وزير الخليفة العباسي المأمون(١)

حيث "جاء في أخبار أحمد المحرر المعروف بالأحول أنه" شخص مع محمد بن يزداد بن سعيد وزير المأمون، عند شخوص المأمون إلى دمشق، وأنه شكا يوماً إلى أبي هارون، خليفة محمد بن يزداد، الوحدة والغربة، وقلة ذات اليد، وسأله أن يكلم له محمداً في كلام المأمون في أمره. ليبره بشيء، ففعل أبو هارون ذلك، ورأى محمد بن يزداد من المأمون طيب نفس، فكلمه فيه وعطفه عليه، فقال له المأمون: أنا أعرف الناس به، ولا يزال بخير ما لم يكن معه شيء، فإذا رزق فوق القوت بذره وأفسده، ولكن أعطه لموضع كلامك، أربعة آلاف درهم، فدعا ابن يزداد بالأحول، وعرفه ما جرى، ونهاه عن الفساد، وأمر له بالمال، فلما قبضه ابتاع غلاماً بمائة دينار، واشترى سيفاً ومتاعاً، وأسرف فيما بقي بعد ذلك، حتى لم يبق معه شيء، فلما رأى الغلام ذلك، أخذ كل ما كان في بيته وهرب،

(١) محمَّد بن يزْدَاد بن سُوَيْد الْكَاتِب الْمروزِي الْوَزِير وزر لِلْمَأْمُونِ كَانَ حسن البلاغة كثير الْأَدَب مَشْهُورا بقول الشّعْر لَهُ فِي الْمَأْمُون مرثية مَعْرُوفَة وَكَانَ سُلَيْمَان بن وهب يكْتب بَين يَدَيْهِ وَكَانَ بِهِ خَاصّا ثمَّ اتَّصل بِهِ أَن سُلَيْمَان سعى عَلَيْهِ فَاطْرَحْهُ... توفّي سنة ثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ بسر من رأى (الوافي بالوفيات ١٣٩/٥ وما يليها).

فبقي عرياناً، بأسوء حال، وصار إلى أبي هارون، خليفة بن يزداد فأخبره، فأخذ أبو هارون نصف طومار ونشره ووقع في آخره: [من الكامل تاما]

فـــر الغـــلام فطـــار قلـــب الأحـــول وأنـــا الشـــفيع وأنـــت خـــير معـــول

ثم ختمه ودفعه إليه، وقال له: امض به إلى محمد ابن يزداد، فأوصله إليه، فلما رآه ابن يزداد، قال له: ما في كتابك؟ قال: لا أدري، فقال: هـــذا من حمقك، تحمل كتاباً لا تدري ما فيه، ثم فضه فلم ير فيه شيئاً، فجعـــل ينشره وهو يضحك، حتى أتى على آخره، فوقف على البيت ووقع تحتـــه: [من الكامل تاما]

لـــــولا تعنـــــت أحمـــــد لغلامـــــه كـــان الغـــلام ربيطـــة بـــالمنزل[1]

ولا تخفى الاستعارة المكنية في قوله: "فطار قلب الأحول"

ومن ذلك اللون من التوقيعات توقيع الصاحب بن عباد[2] على رقعـــة وجهها إلى قاضي "قم"[3] [من المديد مجزوءا] أو [الرمل مجـــزوءا وهـــو أقرب].

---

(١) معجم الأدباء ٤٢٩/١. وينظر: جمهرة توقيعات العرب ٣٢٥/٢.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) قم : مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها، وأول من مصّرها طلحـــة بـــن الأحوص الأشعري، وذكر بعضهم أن قمّ بين أصبهان وساوة، وهي كبيرة حسنة طيبة وأهلها كلهم شيعة إمامية، وكان بدء تمصيرها في أيام الحجاج بن يوسف ســـنة ٨٣ه. (معجم البلدان ٣٩٧/٤- ياقوت الحموي- دار الفكر – بيروت.)

أيهـــا القاضـــي بقـــم قـــد عزلنـــاك فقـــم

فكان القاضي يقول إذا سئل عن سبب عزله أنا معزول السجع من غير جرم ولا سبب"(١)

إشارة من القاضي إلى ما بين "قم" المدينة المعروفة، و"قم" فعل الأمـر الذي يعني سرعة الاستجابة في بالقيام والعمل على التخلي من المنصب.

ومنه توقيع أبي الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجـراح (٢)حيـث كتب لقوة رقعة رفعها إليه: [من الكامل تاما]

وزعمـت أنـك لا تلـوط فقـل لنـا هـذا المهفهـف واقـفٌ مـا يصـنع؟

شـهدت عليـك بـه شـواهد ريبـة وعلـى المريـب شـواهدٌ لا تـدفع

فوقع فيها: [من الكامل تاما]

إن الفـؤاد بمـن تـراه مشـغفٌ والقلـب ذو حـرجٍ فمـاذا أصـنع؟(٣)

فالتوقيع هنا جاء اعترافا من أبي الحسن بما بينه وبين هذا الغلام الذي علق به، وكلف به، وقد أجاد الموقع في جمعه بين الفؤاد والقلب في البيت ليشير أن الفؤاد هو إدراك الشيء والاقتناع بالأفكار بعيدا عن العواطـف والأحاسيس، أما القلب فيمتد ليرتبط بالمشاعر والأحاسيس الإنسانية، التي

---

(١) معجم البلدان ٣٩٨/٤. والبيت ليس في ديوان الصاحب بن عباد بشرح وضـبط/ إبراهيم شمس الدين، ولا في ديوانه بتحقيق الشيخ/ محمد حسن آل ياسين.

(٢) سبقت ترجمته

(٣) محاضرات الأدباء ٢٦٤/٢. وجمهرة توقيعات العرب ٣٦٥/٢

ينتج عنها سلوك الجوارح. ثم يختم الموقع البيت بالاستفهام التعجبي: "ماذا أصنع" وقد وقع بين الفؤاد والقلب معا. وكأنه يشير أنه لا يستطيع التفلت من أسر هذا الحب الذي أصاب قلبه.

ومن هذا أيضا توقيع طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي[1]، حيث "قَالَ أَحْمد بن أبي طَاهِر كَانَ طَاهِر بن الْحُسَيْن بخراسان قبل أَن يَتَحَرَّك بِهِ الْحَال يتعشق جَارِيَة فِي جيرَانه يُقَال لَهَا ديذا، وَكَانَت تُوصَف بِجَمَال عَجِيب وَكَانَ يخْتَلف إِلَيْهَا فَلَمَّا تحركت بِهِ الْحَال وَصَارَ إِلَى مَدِينَة السَّلَام وَقع فِي سجنه جَار لديذا بجرم خَفِيف وَطَالَ حَبسه وَلم يعرف أحدا يشفع فِيهِ فاحتال بِمن يرفع رقْعَة لَطِيفَة فوصلت لَهُ إِلَى طَاهِر تخبره أَنه حبس بجرم يسير وَلَيْسَ لَهُ أحد يسْعَى فِي أمره وتوسل إِلَيْهِ بجوار ديذا فَلَمَّا قَرَأَ طَاهِر الرقعة كتب فِي ظهرهَا: [من الطويل]

وَيَا جَار ديذا لَا تخف سجن طَاهِر فولْيك لَو تَدْرِي عَلَيْك شفيق

أيا جَار ديذا أَنْت فِي سجن طَاهِر وَأَنت لديذا مَا علمت طليق

---

(١) (١٥٩ – ٢٠٧ هـ = ٧٧٥ – ٨٢٢ م) طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي، أبو الطيّب، وأبو طلحة: من كبار الوزراء والقواد، أدبا وحكمة وشجاعة. وهو الّذي وطد الملك للمأمون العباسي. ولد في بوشنج (من أعمال خراسان) وسكن بغداد، فاتصل بالمأمون في صباه. (الأعلام ٣/٢٢١)

ثمَّ كتب فِي أَسْفَل الْبَيْتَيْنِ يخلى سَبيله وَيُعْطى أَرْبَعَة آلَاف دِرْهَم وَعَلِيهِ لعنة اللَّهِ فقد حرك مني سَاكِنا".(١)

فالتوقيع الشعري هنا من نظم الأمير وإنشائه، وقد جاء يحمل في طياته ظرفا وتفكها منه لهذا السجين، ولا أدل على ذلك من قول الأمير في كلامه النثري بعد: "فقد حرك مني ساكنا" وكان السجين من الفطنة بمكان حين استشفع الأمير بمعشوقته "ديذا" تلك التي كان يختلي إليها عندما كان بخراسان، ولكن يبدو أنه قد تناسى ما بينه وبينها لانشغاله بالإمارة، ولكن من أجل تلك المحبوبة التي ذكرها السجين في رقعته، وذكرها الأمير في أبياته ثلاث مرات، طمأن الأمير السجين بإطلاق سراحه وإعطائه مكافأة مقدارها أربعة آلاف درهم. وعلى الرغم من تعويل الموقع على أسلوب النداء مرتين، وتكرار اسم محبوبته ثلاث مرات، بل إن شئت قل إنه كاد أن يكرر الشطر الأول من البيتين واستخدامه الطباق بين "سجن وطليق"، فقد أحال كلك ذلك البيتين إلى لغة خطابية زاعقة

ويندرج في هذا المحور بعض التوقيعات التي جاء للرد على المستفتين الذين يرومون إبانة الأحكام الشرعية في بعض القضايا، لكن يلحظ أن طلب الفتيا كان يقتصر على اتجاه واحد وهو طلب الفتوى في أحوال الحب والعشق، وكان أكثر ما يتجلى في توقيعات القضاة والفقهاء، كما في توقيع

(١) كتاب بغداد ٦٧- ابن طيفور – تحقيق/ السيد عزت العطار الحسيني – الطبعة الثالثة مكتبة الخانجي – القاهرة / مصر ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

الفقيه محمد بن داود الظاهري. (ت ٢٩٧هـ/٩١٠م)[١] حيث "حكى أبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا أنه حضر مجلس محمد المذكور قال: فجاءه رجل فوقف عليه ورفع له رقعة، فأخذها وتأملها طويلا وظن تلامذته أنها مسألة، ثم قلبها وكتب على ظهرها وردها إلى صاحبها، فنظرنا فإذا الرجل علي بن العباس المعروف بابن الرومي الشاعر المشهور[٢]، وإذا في الرقعة: [من الخفيف تاما]

يا ابن داود يا فقيه العراق أفتنا في قواتل الأحداق

هل عليهن في الجروح قصاص أم مباح لها دم العشاق

وإذا الجواب: [من الخفيف تاما]

كيف يفتيكمُ قتيل صريع بسهام الفراق والإشتياق[٣]

وقتيل التلاق أحسن حالا عند داود من قتيل الفراق[٤]

---

(١) مُحَمَّد بن دَاوُد بن عَليّ الظَّاهِرِيّ الإِمَام ابْن الإِمَام الْأَصْفَهَانِي الْبَغْدَادِيّ الْفَقِيه الأديب صَاحب كتاب الزهرة. (الوافي بالوفيات ٤٨/٢)

(٢) ابن الرُّومي (٢٢١ - ٢٨٣ هـ = ٨٣٦ - ٨٩٦ م) علي بن العباس بن جريج، أو جورجيس، الرومي، أبو الحسن، شاعر كبير، من طبقة بشار والمتنبي، رومي الأصل، كان جده من موالي بني العباس، ولد ونشأ ببغداد، ومات فيها مسموما. (الاعلام ٢٩٧/٤)

(٣) يتوجب قطع الهمزة في "الاشتياق" لإقامة الوزن.

(٤) وفيات الأعيان ٢٦١/٤.

ويتجلى في هذا التوقيع الشعري أن حال ابن الرومي الشاعر العباسي المعروف أفضل حالا وأيسر أمرا من حال الفقيه، لأن ما يتلبس بحال ابن الرومي وقد وقع صريعا لعيون الغواني النُّجْلِ أخف وطأة من حال الفقيه الذي وقع خر صريعا بسبب فراق الأحبة وبعدهم، ومن ثم يتأجج الشوق لديه بين الفينة والفينة.

وغير خاف أن من يطالع الأبيات السابقة يجد مواتع الصور لدى الموقَّع له والموقِّع، فحينما يقول ابن الرومي: "قواتل الأحداق" فهذا كناية عن عيون محبوبته، وهي صورة تتكرر في العديد من القصائد، وقد أوفاها جرير وصفاً حين جعل العيون الحوراء أداة قتل فتّاكة رغم ضعفها، فقال: [من البسيط تاما]

إن العيون التي في طرفها مرض قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا صراع به وهن أضعف خلق الله إنسانا[1]

ولا يخفى ما في توقيع ابن داود في قوله: "بسهام الفراق والاشتياق" من استعارة مكنية حيث شبه الشاعر بفارس ثم حذف المشبه به ورمز وشيء من لوازمه وهو السهم ويرشح ذلك كلمتا قتيل وصريع كما لا يخفى ما بين التلاقي والافتراق من طباق.

وقريب من هذا وأفكه توقيع القاضي أحمد بن موسى الأنطاكي فقد "حدث القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني قال: أخبرنا محمد

(١) ديوان جرير ١/١٦٣.

بن الحسن بن زياد النقاش المقرئ قال: لقيت رقعة قد رفع فيها إلى القاضي أبي بكر أحمد بن موسى الأنطاكي:[1] [من الخفيف تاما]

أيهذا القاضي الكبير بعدل ... صانك الله عن مقام الدنات

أيكون القصاص في فتك لحظ ... من غزال مورد الوجنات؟

أم يخاف العذاب من هو صب ... مبتلي بالزفير والحسرات؟

ليس إلا العفاف والصوم والنسك (م) له زاجر عن الشبهات

فأخذ الرقعة وكتب على ظهرها:[من الخفيف تاما]

يا ظريف الصنيع والآلات ... وعظيم الأشجان واللوعات

إن تكن عاشقاً فلم تأت ذنباً ... بل ترقيت رفعة الدرجات

فلك الحق واجباً إن عرفنا ... من تعلقته من الحجرات

أن أكون الرسول جهراً إليه ... إذ تنكبت موبق الشبهات

ومتى أقض بالقصاص على لحظ (م) حبيب أخطئ طريق القضاة"[2]

فالقاضي ها هنا لا يفتي بعدم وجوب الذنب على الرجل إن كان عاشقا فحسب، بل يفتي بأن ذلك ذريعة له في ارتقائه أعلى الدرجات، والأفكه من هذا والأظرف منه أن يطلب القاضي منه معرفة هذا الغزال (محبوبه) ليكون رسوله إليه أمام الناس إن كان المحب الوامق ممن يتقي الشبهات،

(١) لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي.

(٢) معجم الأدباء ٢٥٠٢/٦. وجمهرة توقيعات العرب ٤٢٣/٣.

ويبدو أن القاضي يجعل من فتواه فتوى عامة لكل من كان على شاكلة الرجل وليست فتوى خاصة، وأن سبيله في فتواه سبيل كل القضاة؛ لأنه لو قضي بالقصاص على النظر فقد أخطأ طريق القضاة.

ويلحظ أن التوقيع الشعري في هذا المحور جاء في – أغلبه– جوابا لسؤال نظم شعرا، وأن التوقيع (الجواب) جاء على وزن السؤال وقافيته وغرضه، وذا يدل على براعة السائل والموقع في آن واحد معا.

المحور الثامن: التوقيعات النقدية:

ومن ذلك توقيع محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي (ت٢٥٣هـ/٨٦٧م)[١] حيث "بعث ابن أبي عون[٢] حاجب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى محمد بأنوار من بستانه وريحان، وكتب معه: [من الخفيف تاما]

قد بعثنا بطيّب الرّيحان خير ما قد جُنى من البستانِ

قد تخيّرته لخير أمير زانه الله بالتقى والبيانِ

فوقع على ظهر رقعته: [من الخفيف تاما]

عونُ يا عونُ قد ضللت عن القصـ ـد وعُمّيتَ عن دقيقِ المعاني

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) هو أحد قواد محمد بن عبد الله الذين لعبوا دورا كبيرا في فتنة المعتز، ولي البصرة واليمامة والبحرين. (تاريخ الأمم والملوك ٥/٤١٠ بتصرف)

حشـوُ بيتيـك "قـد وقـد" فـإنكـم قـــدّكَ اللهُ بالحســـام اليمـــاني[1]

فقد أخذ محمد بن عبد الله على أبي عون أنه أكثر من القدقدة، وهـذا واضح جلي حيث كرر أبو عون "قد" ثلاث مرات، مرتين في البيت الأول، ومرة واحدة في البيت الثاني.

وتوقيع محمد بن عبد الله هنا يدل على معرفته بأسرار اللغة وتذوقـه لبيانها، وفقهه لمبانيها ومعانيها.

والتشعيث في: (الريحان، البستان) وهو بمعنى التفريق أو الانتشار في آن واحد يتناسب مع تنوع الطاقات المرسلة وتنوع شذاها.

ومن ذلك توقيع الصاحب بن عباد[2] على رقعة رفعهـا لـه بعـض الشعراء يمدحه وكان الشعر لابن عبّاد، فوقّع ابن عباد عليه فقـال: [مـن المجتث]

سـرقت شـعري وغـيري فيـه يضـام ويخـدعْ
فسـوف أجريـك صـفعاً يكـدُّ ليتـاً وأخـدعْ
فسـارق المـال يقطـع وسـارق الشّـعر يصـفعْ![3]

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ٤٣٢ وما يليها. وجمهرة توقيعات العرب ٢٤٥/٢.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) قرى الضيف ٣/ ٢٣٤. والأبيات في ديوان الصاحب بن عبـاد ١٦٤- بشـرح وضبط وتقديم/ إبراهيم شمس الدين، وفي ديوانه ٢٤٥- بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين. وجمهرة توقيعات العرب ٣٩٠/٢

ولا شك أن هذا التوقيع من الصاحب بن عباد قد جاء مطبوعا بطابع نقدي، إذ يشير إلى قضية نقدية وهي قضية السرقات التي احتلت مساحة عريضة في كتب النقد الأدبي.

المحور التاسع: التوقيعات الهجائية:

مثلما استبحر التوقيع الشعري في كثير من الموضوعات استبحر كذلك في معرض الهجاء أو التهاجي، والهِجاء نقيض المديح، فالمديح يقوم على عاطفة الإعجاب والتقدير وذكر المناقب أما الهجاء يقوم على ذكر السُخط والاشمئزاز وذكر المثالب.

ومن ذلك اللون توقيع أبي الحسن بن لهيعة[1] حيث كتب عيسى بن لَهيعة إلى أخيه أبي الحسن وزَوَر كلامه وجاوز المِقدار في التنطّع، فوقع في أسفل كتابه:[من المجتث]

أنـــيَّ يكـــون بليغـــاً ... مـــن اسمـــه كـــان عِيّـــا

وثالـــثُ الحـــرف منـــه ... إذا كتبـــت مســـيَّا[2]

---

(١) هو أخو عيسى بن لهيعة بن عيسى بن لهيعة بن عقبة الحضرمي المصري، وكان عيسى قد تولى المظالم لإسحاق بن يحيى سنة ٢٣٥ (ينظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة٢/٢٨٣- ابن تغري بردي- وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.)

(٢) العقد الفريد ٤/٢٦٩.

-وقد نسب التوقيع لموسى بن عبد الملك في محاضرات الأدباء ٢/ ٣٦٨. وينظر: جمهرة توقيعات العرب ٣/٤٥١.

وهنا نجد التوقيع فوق ما يحمله من هجاء يحمل ظرفا وتفكهـا، فهـو ينفى البلاغة عن عيسى ابن لهيعة، إذ كيف يصير صاحب هذا الاسم بليغا ونصف اسمه عي، ونصفه الآخر يشبه في رسمه كلمة سيء. وربما لـو قال: "من نصفه كان عيا" لكان أقذع في الهجاء

ومن ذلك أيضا توقيع الشاعر محمد بـن حـازم البـاهلي(ت ٢١٥هـ/ ٨٣٠م)[١] حيث كان يهجو محمد بن حميد بن قحطبة الطوسي- هجاء مرا يؤذيه، فكان يتحاشاه بكل حيلة ولكن لم تنفع معه أية حيلة، فأرسـل إليـه محمد بن حميد بن قحطبة من المال والثياب وغير ذلك، وكتب إليه رقعـة يحلف فيها أنه ما يعلم بذلك غيره وغير رسوله، ويقول له فيها: أما لك أن تقبل هذه وتكفيني أمرك وتكف عني؟ قال: فرد جميع ذلك وكتب له فـي ظهر رقعته:[من الكامل تاما ذي الضرب الأحذ المضمر]

وفعلـت فعـل ابـن المهلـب إذ كَعَـمَ الفـرزدقَ بالنـدى الغمـرِ
لا أقبـل المعـروف مـن رجـل ألبسـته عـاراً علـى الـدهر
وبعثـتَ بـالأموال تُرْغِبُنِـي كـلا ورب الحشـر والنشـر[٢]

---

(١) أَبُو جَعْفَر البَاهِلِي (٠٠٠ - نحو ٢١٥ هـ = ٠٠٠ - نحو ٨٣٠ م) محمد بـن حازم بن عمرو الباهلي بالولاء، أبو جعفر: شاعر مطبوع. كثير الهجاء، لم يمدح مـن الخلفاء غير المأمون العباسي. ولد ونشأ في البصرة وسكن بغداد ومات فيها. (الأعلام ٧٥/٦)

(٢) طبقات الشعراء ٣٠٩. وينظر: ديوان محمد بن حازم الباهلي- تحقيـق/ شـاكر العاشور - ضمن مجلة المورد - مج ٦، ع ٢، ص ٢٠٣- وزارة الثقافة والإعـلام- دائرة الشئون الثقافية ١٩٧٧م، وينظر: ديوان محمد بن حازم الباهلي تكملة وإصـلاح ٢٥٢ وما يليها- جمع وتحقيق/ محمد خير البقاعي- مجلـة مجمـع اللغـة العربيـة الأردني- المجلد ١٢- عدد ٣٤- ١٩٨٨م.. وينظر: جمهرة توقيعات العرب ٤٤٣/٣.

ولا شك أن قوله: "ألبسته عارا على الدهر" يدل على كثرة هجائه لـــه، وأن قصائده في المهجو كانت سياطا لاذعة، وهذا مـــا دعـــا المهجـــو أن يستميله له عن طريق تقديم المال له.

ومن هذا اللون من التوقيعات الهجائية توقيع الشاعر أبي تمام[١] علـــى أبيات قد نظمها عبد الصمد بن المعزل[٢] في هجوه، فلما قرأها أبو تمـــام قلبها وكتب عليها:[من البسيط تاما]

أُفٍّ تـــنظم قـــول الـــزور والفنـــد وأنت أنقص من لا شيء في العدد

أشرجت قلبك من غيظ على حنق كأنهـــا حركـــات الـــروح في الجســـد

أقدمت ويلك من هجوي على خطر كالعير يقدم من خوف على الأسد[٣]

وتوقيع أبي تمام هنا إمعان في استصغار عبد الصـــمد بـــن المعـــذل واحتقار شأنه، إذ إن قوله: "وأنت أنقص من لا شيء في العدد" إيغـــال، كأنه يطلب بعد العدم منزلة أدون منه[٤]

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) عبد الصَّمد بن المعذل بن غيلَان بن الحكم بن البخْترِي بن الْمُخْتَار بن ذريح بـــن أَوْس بن همام بن ربيعَة يَنْتَهِي إِلَى معد بن عدنان ...كَانَ شَاعِرًا فصيحاً من شـــعراء الدولة العباسية بَصرِي المولد والمنشأ وَكَانَ هجاء خَبِيث اللِّسَان شَدِيد الْعَارِضَة لَا يسلم مِنْهُ من مدحه من الهجو فضلا عَن غَيره توفّي فِي حُدُود الْأَرْبَعين وَمِائَتَيْنِ. (الـــوافي بالوفيات ١٨/٢٧٥)

(٣) وفيات الأعيان ١٣/٢. وينظر: ديوان أبي تمام بشرح الخطيـــب التبريـــزي ٤/ ٣٥١. وجمهرة توقيعات العرب ٤٤٦.

(٤) ينظر: أسرار البلاغة ٧٦- عبد القاهر الجرجاني- قرأه وعلق عليـــه/ محمـــود محمد شاكر- نشر مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة.

ولا يخفى ما في البيتين الثاني والثالث من تشبيه، إذ يشبه في البيت الثاني مدى ما يمور به قلب عبد الصمد بن المعذل من غيظ وحقد بحركات الروح في الجسد، وفي البيت الأخير يشبه قدوم عبد الصمد على هجوه بقدوم العير المذعورة من الأسد، ومن ثم فهو ينتقص من شأنه، ولا أدل على ذلك من أن جعله أنقص من لا شيء في العدد.

ومنه توقيع الشاعر علي بن محمد بن نصر بن بسام (ت ٣٠٢هـ/٩١٤م) [1]على جزء من كتاب الروضة الذي أهداه مصنفه المبرد لوالده محمد بن نصر: [من الرمل مجزوءا]

لوبرا الله المبرد من جحيم يتوقد

كان في الروضة حقا من جميع الناس أبرد[2]

فهذا التوقيع الشعري هجاء يحمل في طياته ظرفا وتفكها من الشاعر لأبي العباس المبرد، معتمدا في رسم صورته على الطباق السياقي بين "جحيم" و "الروضة" وبين "يتوقد" و "أبرد" والجناس بين "المبرد" و "أبرد" والتورية في "الروضة" التي تحمل معنيين إحداهما قريب ينصرف إلى

---

(١) (ابْن بسّام البغدادي) عَليّ بن مُحَمَّد بن نصر بن مَنْصُور بن بسّام أَبُو الْحسن البغدادي العَبَرْتاني الأخباري أحد الشُّعَرَاء البلغاء... وَله هجاء خَبِيث واستفرغ شعره فِي هجاء وَالده وهجاء جمَاعَة من الوزراء كالقاسم بن عبيد الله وَأبي جَعْفَر بن الزيّات وَتُوفِّي سنة اثْنَتَيْنِ وَثَلَاث مائَة وَكَانَ مَعَ فَصَاحَته وَبَيَانه لَا حظَّ لَهُ فِي التَّطْوِيل إِنَّمَا يحسن فِي المقاطيع. (الوافي بالوفيات ٢٢/٩٤)

(٢) تاريخ بغداد ٤/٦٠٣. وينظر: جمهرة توقيعات العرب ٣/٤٥٦.

الجنة لمقابلته لكلمة الجحيم، وثانيهما بعيد ينصرف إلى كتاب الروضة الذي ألفه المبرد، وأهداه لمحمد بن نصر.

ويلحظ أن بالبيتين تضمينا عروضيا، حيث جعل جواب الشرط بداية البيت الثاني.

ومن هذا اللون أيضا توقيع الصاحب بن عباد[1] لبعض المؤدبة ممن تقاعد بشهرته: [من الكامل مجزوءا]

الكلب يرفع نفسه ويجلها مع خسته
من أن يفيت مؤدبا مستوجبا من أجرته[2]

وفحوى كلام الصاحب أن الوضيع يرفع نفسه على الرغم من معرفة الناس قدره، كالكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث

المحور العاشر: (متفرقات):

ويشتمل هذا المحور على مجموعة من التوقيعات الشعرية التي لا يمكن إدراجها في أي من المحاور السابقة، لأنها تشتمل على معان أخرى مغايرة للتوقيعات السابقة في وقت، ولأنها لم تكن من الكثرة الكاثرة التي تخص محورا يمثل مضمونا معينا، لذا آثرت أن يكون مكانها هنا مشيرا إلى كل توقيع بما يحمله من مضمون، وقد جاءت على النحو الآتي:

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) محاضرات الأدباء١/٧٦. وديوان الصاحب بن عباد ٢١٢- بشرح وضبط وتقديم/ إبراهيم شمس الدين. وليسا في ديوانه بتحقيق/ محمد حسن آل ياسين.

(أ) الحث على السعي والجد:

وذلك كتوقيع طاهر بن الحسين الخزاعي[١] إِلَى الْعَبَّاس ابْن مُوسَى لاستبطائه فِي خراج الْكُوفَة: [من الطويل]

وَلَيْسَ أَخُو الْحَاجَات من بَات نائما ولَكِن أَخُوهَا من يبيت على وَجل[٢]

فنراه في توقيعه يَحُثُّ عاملَه على النشاط و الجدِّ في جباية الخراج، ولا يخلد إلى النوم والدعة، فهذا مما ينقص القدر ويجلب المذمة؛ إذ " العرب تمدح بقلة النوم، وتذم إذا ألف الرجل ذلك"[٣]

ويندرج في هذا ما يؤخذ بعين الحزم والعزم، فلما عزم المنصور[٤] على الفتك بابي مسلم الخراساني هاب ذلك عمه عيسى بن علي فكتب إليه:]من الطويل]

---

(١) سبقت ترجمته

(٢) العقد الفريد ٣٠٥/٤،

(٣) تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي ٢٦١- اختصار: أبو المرشد سليمان بن علي المعري- تحقيق د/ مجاهد محمد الصواف، و/ محسن غياض عجيل- دار المأمون للتراث ١٣٩٩ه/ ١٩٧٧م.

-وهذا البيت- الذي وقع به طاهر بن الحسين – ذكره سليمان بن علي المعري للطرماح. (ينظر: تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي ٢٦١.)

- والبيت ليس في ديوان الطرماح.(ينظر: ديوان الطرماح- تحقيق/ عزة حسن- الطبعة الثانية- دار الشرق العربي- بيروت- لبنان ١٤١٤ه/١٩٩٤م.)

(٤) سبقت ترجمته.

إذا كنت ذا رأي فكن ذا تدبر فإن فساد الرأي أن تتعجلا

فوقع المنصور في كتابه:]من الطويل]

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تترددا

ولا تمهل الأعداء يوما بغدوة وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا[1]

والبيتان من شعر المنصور وليسا لغيره، فهو يريد أن يصحح رأي عمه في عملية اتخاذ القرار، إذ لا شك أن كثرة التردد ونقض الأمر بعد إبرامه من علامات تدني الهمة التي ليست من علامات الرجال. وقد عول على أسلوبي الأمر والنهي معا في: "فكن ذا عزيمة، ولا تمهل، وبادرهم" وهذا مما يسم التوقيع بالخطابية الزاعقة.

(ب) النهي عن بعض الأفعال:

ومنه توقيع المستعصم بالله[2] وكان قد طالع في شخص من أمراء الجبل يعرف بابن شرف شاه وقال في آخر كلامه وهو مدبر فوقع المستعصم له [من السريع]

---

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ١٠/٨- ابن الجوزي- تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا- الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. وفي زهر الآداب ٢٠٢/١ برواية فأجابه بدلا من "فوقّع"

(٢) الخَلِيْفَةُ، الشَّهِيْدُ، أَبُو أَحْمَدَ عَبْدُ الله ابْنُ المُسْتَنْصِرِ بِالله مَنْصُوْرُ بْنِ الظَّاهِرِ مُحَمَّدِ بْنِ النَّاصِرِ أَحْمَد بْنِ المُسْتَضِيْءِ الهَاشِمِيُّ، العَبَّاسِيُّ، البَغْدَادِيُّ. وُلِدَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّ مائَةٍ. وَاستخلف سَنَةَ أَرْبَعِيْنَ يَوْم مَوْت أَبِيْهِ فِي عَاشِر جُمَادَى الآخِرَة، وَكَانَ فَاضِلاً، تَالياً لِكِتَاب الله، مليح الكِتَابَة.... ثُمَّ إِنَّهُ اسْتَوْزَرَ المُؤَيَّد ابْنَ العَلْقَمِيّ الرَّافضِيّ، فَأَهْلَك الحَرْثَ وَالنَّسْلَ. (سير أعلام النبلاء١٧٤/٢٣- الذهبي- تحقيق/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط- الطبعة الثالثة - مؤسسة الرسالة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م).

ولا تساعد أبدا مدبرا وكن مع الله على المدبر[1]

فقد جاء توقيع الخليفة هنا نهيا لوزيره عن عدم تقديم أية مساعدة لهذا الذي أعرض وأدبر عن سلطة الخلافة. وقد جمع المستعصم بين النهي في قوله: "ولا تساعد" والأمر في قوله: "وكن مع الله على المدبر" لأنه من يقوم بالأمر والنهي في مثل هذه المواقف، وهذا جعل لغة البيت خطابية لا شك.

ومنه أيضا توقيع طاهر بن الحسين[2] حيث قَالَ أَبُو الْعَبَّاس مُحَمَّد بن عَليّ بن طَاهِر قَالَ: كَانَ أَسد بن أبي الْأسد مِمَّن خرج مَعَ جدي طَاهِر بن الْحُسَيْن إِلَى خُرَاسَان: فَلَمَّا كَانَ بمرو احتاج أَن يُوَجه قوما إِلَى خوارزم، وبخاري فَسمى فِيمَن سمى مَعَ الْقَائِد الَّذِي يتَوَجَّه إِلَى تِلْكَ النَّاحِيَة، فالتوى وَرفع كتابا يشتط فِي الْمَسْأَلَة والأرزاق فَوَقع فِي كِتَابه بَيت: [من الخفيف مجزوءا]

لَا تكونن جَاهِلا أَنت فِي الْبَعْث يَا أَسد[3]

---

(١) الوافي بالوفيات ١٥٢/١. وجمهرة توقيعات العرب ١٤٢/١. والبيت في الأصل ليس للخليفة المستعصم بالله وإنما هو لإبراهيم الغزي (الدر الفريد وبيت القصيد ٤٥٢/١٠. وليس في ديوانه – تحقيق ودراسة د/ عبد الرزاق حسين– مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.)

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) كتاب بغداد ٦٩.

فالنهي هنا بالابتعاد عن الجهل المؤدي إلى الحماقة لأن فيه مفسدة للأمور وتعطيل للمصالح.

(ج) النصح والإرشاد

ومن ذلك توقيع يحيى بن خالد البرمكي[1] وزير الخليفة العباسي هارون الرشيد لابنه الفضل، حيث قلد الفضل عمل خراسان فتوجه إليها وأقام بها مدة فوصل كتاب صاحب البريد بخراسان إلى الرشيد ويحيى جالس بين يديه، ومضمون الكتاب أن الفضل بن يحيى متشاغل بالصيد وإدمان اللذات عن النظر في أمر الرعية فلما قرأ الرشيد رمى به إلى يحيى وقال له يا أبت اقرأ هذا الكتاب واكتب إليه بما يردعه عن هذه فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد حفظك الله يا بني وامتع بك قد انتهى إلى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في أمر الرعية ما أنكره، فعاود ما هو أزين بك فإنه من عاد إلى ما يزينه وترك ما يشينه لم يعرفه أهل بلده إلا به والسلام وكتب في أسفله هذه الأبيات [من السريع]

انصب نهارك في طلاب العلى ... واصبر على فقد لقاء الحبيب

حتى إذا الليل أتى مقبلا ... واستترت فيه عيون الرقيب

فكابد الليل بما تشتهي ... فإنما الليل نهار الأريب

كم من فتى تحسبه ناسكا ... يستقبل الليل بأمر عجيب

---

(١) سبقت ترجمته.

غطى عليه الليل أستاره فبات في لهو وعيش خصيب

ولذة الأحمق مكشوفة يسعى بها كل عدو رقيب

والرشيد ينظر إلى ما يكتب فلما فرغ قال قد أبلغت يا أبت ولما ورد الكتاب على الفضل لم يفارق المسجد إلى أن انصرف من عمله"[1]

فلا شك أن التوقيع الشعري جاء إثر كلام نثري، وأن هذا الشعر نصيحة غالية من أب حان لابنه الذي تنكب طريق الجادة وانشغل عن الرعية بالإكثار من الملذات ومداومة الصيد، فجاءت الأبيات من الابن للابن ليوفق بين ما يجب القيام به تجاه رعيته، وبين ما يحب من متع وملذات، وذلك بأن يستغل النهار في الاهتمام بالرعية، وأن يشتغل في ليله بما أراد من متع وملذات؛ لما في الليل من ستر وسكون، وكأنه يذكرنا بالمثل العربي الذي قاله أكثم بن صيفي: "الليل أخفى للويل"[2]

(د) الحكمة:

ومن ذلك توقيع القاضي أبي محمد بن معروف[3]، فقد جلس يوما للحكم في جامع الرصافة فاستدعى أصحاب القصص إليه فتتبعها ووقع

---

(١) شذرات الذهب ٣٣١/١ وما يليها. وقد ورد الخبر في حق يزيد بن معاوية وقد بعث إليه والده معاوية بهذه الأبيات، وليس في حق الفضل بن يحيى (البداية والنهاية ٢٥٠/٨- ابن كثير – تحقيق/ علي شيري- دار إحياء التراث العربي- الطبعة: الأولى- ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

(٢) مجمع الأمثال ١٩٣/٢.

(٣) ابن مَعْروف (٣٠٦ – ٣٨١ هـ = ٩١٨ – ٩٩١ م) عبيد الله بن أحمد بن معروف، أبو محمد: قاضي القضاة ببغداد. كان أديبا، له شعر. حمدت سيرته في القضاء. واشتهر بالظرف. (الأعلام ١٩١/٤)

على أكثرها، ثم نظر في بعضها فإذا فيها ذكر له بالقبيح، وموافقته على وضاعته وسقوط أصله، ثم تنبيهه وتذكيره لأحوال غير جميلة، وتعديد ذلك عليه، فقلب الرقعة وكتب على ظهرها:[من الرجز تاما]

العالم العاقل ابن نفسه أغناه جنس علمه عن جنسه
كن ابن من شئت وكن كَيِّسا فإنما المرء بفضل كيسه
كم بين من تكرمه لغيره وبين من تكرمه لنفسه
من إنما حياته لغيره فيومه أولى به من أمسه[1]

فالقاضي هنا يوقع على رقعة بها سب وشتم لشخصه، لكنه حلم ولم يغضب، وما ثار ثورة ولا فار فورة، ولكنه تعامل مع الرقعة بحكمة وتوقر، فوقع عليها بأبيات تجري مجرى الحكم التي صارت مضربا للأمثال.

(ه) الشوق والمحبة:

ومن ذلك توقيع الخليفة المأمون[2] حيث " كتب إليه عبد الله بن طاهر يشكو إليه بعده عن حضرته ويسأله الإذن له في الإلمام بها، فوقع في كتابه : قربك يا أبا العباس إلي حبيب وأنت من قلبي – حيث كنت قريب– ، وإنما بعدت دارك نظرا بك ورغبة إليك مع قول الشاعر: [من الطويل]

رأيت دنو الدار ليس بنافع إذا كان ما بين القلوب بعيد[3]

---

(١) تاريخ بغداد ٩٣/١٢.
(٢) سبقت ترجمته.
(٣) خاص الخاص ٨٩.

فالتوقيع هنا يشير إلى أن الشعر ليس من شعر الموقِّع، وإنما من شعر غيره، فهو شعر أبي نواس.[1] ، وقد أشار الخليفة لذلك البيت في التوقيع تأكيدا في أن قرب ابن طاهر منه واقع على الرغم من بعد المسافة بينهما، ويتضح ذكاء الخليفة في تأكيد قرب ابن طاهر منه بقوله وإنما بعدت دارك يعني أن دار الخليفة داره؛ شوقا إلى مجيء ابن طاهر؛ أولا ترى إلى العربي يجعل مبدأه قوله: [من الكامل تاما]

يا ضيفنا لو جئتنا لوجدتنا نحن الضيوفَ، وأنت ربُّ المنزلِ؟!

(١) ديوان أبي نواس ٢٣٩.

الفصل الثاني
(الدراسة الفنية)

بعد هذه الوقفات المتأنية والمعايشات الدءوب مع الدراسة الموضوعية للتوقيعات الشعرية آثرت هنا أن أرصد أهم السمات الفنية التي تتسم بها، ولكن في البداية أحب أن أقرر أن التعامل مع كثير من هذه التوقيعات قد يجعل الدارس أو الباحث ضيق العطن، مكبلا بقيود أشبه بالقيود الحديدية؛ لأن من يتعامل مع قصيدة أو نفثة شعرية ليس كمن يتعامل مع بيت يتيم أو نتفة شعرية أو مُقَطَّعة شعرية، ومن هنا كان رصد الفنيات لا يكاد يخرج عن أمور معينة تلف هذه التوقيعات، ومنها:

أولا:اللغة:

لعل أول ما يستوجب النظر في جانب اللغة شيوع ظاهرة التضمين أو الاقتباس (التناص)

فغير خاف أن كثيرا من هذا الشعر جاء لغير الموقعين، فكانوا يستلهمون شعر من سبقوهم أو عاصروهم في توقيعاتهم متى كان بين مناسبة التوقيع ومناسبة الشعر المستدعى أو المستلهم صلة تستدعي ذكره، ولا شك أن الموقع قد يلجأ إلى ذلك الاستدعاء إذا كان لا يجيد القريض، أو كان يجيده ولكن الموهبة ربما لا تسعفه في وقت التوقيع فيلجأ إلى الاستلهام أو الاستدعاء إذا تشابه المقام والواقع الظرفي، ومن يطالع الفصل الخاص بالدراسة الموضوعية يجد ردءا يصدق ما نرمي إليه، ونكاد نطمئن إلى أن شعر التوقيع لا ينسب لصاحبه الموقِّع إلا في حالات معينة:

الأولى: إذا كان الموقِّع شاعرا عرف بشعره كتوقيع أبي نواس على شعر أبي العتاهية، وكتوقيع أبي تمام على شعر عبد الصمد بن المعذل، وكتوقيع محمد بن عبد الملك الزيات على ظهر مدحة أبي تمام التي مدحه بها، وكتوقيعات الصاحب بن عباد جميعها.

الثانية: أن يكون في شعر الموقّع ما يشير إلى أن هذا الشعر يتوافق مع خبر التوقيع، كتوقيع طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي على رسالة جار محبوبته ديذا، وقد وقع سجينا في حبسه.(١)

فذكره لجار ديذا وتكراره في الشطرين الأولين من البيتين يقطع بأن الشعر لطاهر بن الحسين قولا واحدا؛ إذ إن هذا الذكر مما يؤيد ذلك.

ومن ذلك أيضا توقيع طاهر بن الحسين، على كتاب أَسد بن أبي الْأسد(٢) فذكره اسم "أسد" في التوقيع إشارة إلى أسد بن أبي الأسد يقطع بأن الشعر للموقِّع.

وكتوقيع محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي على ظهر بيتي ابن أبي عون (٣)

---

(١) ينظر التوقيع في: كتاب بغداد ٦٧. وفي موضعه من المحور السابع: الظرف والمفاكهات.

(٢) كتاب بغداد ٦٩. وفي موضعه من الجزئية رقم "ب" من المحور العاشر "متفرقات"

(٣) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ٤٣٢ وما يليها. وجمهرة توقيعات العرب ٢٤٥/٢، وفي موضعه من المحور الثامن: التوقيعات النقدية

فذكره اسم "عون" مرتين في البيت الأول يقطع بأن البيتين لمحمد بن عبد الله بن طاهر، هذا إلى أن البيتين جاءا على شكل مجاوبة لبيتي عون إذ جاءا متفقين في الوزن والقافية.

ومن ذلك توقيع علية بنت المهدي؛ إذ ذكرها اسم "سباع" في البيت الأول[1] يقطع بأن الأبيات لعلية بنت المهدي.

الثالثة: يقطع بأن الشعر الموقَّع به لصاحبه إذا كان هذا الشعر مجاوبة عن شعر مرسل من طرف آخر، وقصائد المجاوبات هذه يلتزم الشاعر فيها الوزن والقافية في الكثير الغالب، ولا يقصد من ورائها إثبات براعة الموقِّع (الشاعر) كما في المساجلات أو المعارضات، ويتجلى هذا اللون في جانب كثير من شعر الإخوانيات وليس كله، وكذلك في معظم شعر الظرف والمفاكهات خاصة ما يتعلق بجانب الفتيا منه.

لكن ما دمنا نتحدث عن التضمين أو الاقتباس أو التناص في التوقيعات الشعرية، فلا نعدم أن نجد من ينص على ذلك صراحة، كما نص علي بن عيسى الوزير في توقيعه: كالحوت لا يكفيه شيء يلهمه... إلخ على أنه لرؤبة ": قد بلغت لك أقصى مرادك، وأنلتك غاية بغيتك، وسامحتك مسامحة محاب لك معني بك، وأنت مع ذلك تستقل كثيري لك، وتستقبح حسني فيك، فكيف وأنت كما قال رؤبة: [من الرجز]

كالحوت لا يكفيه شيء يَلْهمه يصبح ظمآن وفي البحر فمه

(١) الأوراق قسم أخبار الشعراء ٦٣/٣.

وإذا تأملت حقيقة أمرك علمت أني عاملتك بما لا أجيب إليه غيرك ولا أعامل بمثله سواك."(١)

فإن قوله: وأنت كما قال رؤبة: كالحوت لا يكفيه... إلخ" يدل دلالة قاطعة على أن البيت ليس له وإنما استلهمه استشهادا به لحال من يصف، وأن الشعر جاء بين مقدمة نثرية وخاتمة نثرية كل منهما للموقع، بيد أنه كأنما أراد أن يوشح توقيعه النثري ببيت رؤبة فنص على عزوه، كما أن نصه على عزو الشعر إلى صاحبه إشارة إلى سعة اطلاعه المقرونة بثقته في العزو، وإلا كان بإمكانه أن يقول: "وأنت كما قال القائل "ولا غبار عليه في ذلك.

وكتوقيع المأمون على كتاب أحمد بن يوسف: "الخير متبع، وأبواب الملوك مواطن لذوي الحاجات، فأحص أسماءهم، وأجل موائنهم، ليصير إلى كل امرئ منهم قدر استحقاقه، ولا تكدر معروفاً بالمَطل والحجاب، فإن الأول يقول :[من الوافر تاما]

فإنك لن ترى طرداً لحرٍ كإلصاق به طرف الهوان

ولم يجلب مودة ذي وفاء كمثل البذل أو بسط اللسان(٢)

---

(١) البصائر والذخائر ١٥٠/٩. والبيت في مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج، وعلى أبيات مفردة منسوبة إليه ١٥٩.

-وذكر الأصفهاني البيت لجرير، ينظر: محاضرات الأدباء ٧٣٢/١. والبيت ليس في ديوانه.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ٢٦٠/٧ وما يليها.

فإن قول المأمون في توقيعه : فإن الأول يقول: (فإنك لن ترى... إلخ) ينص على أن البيتين ليسا له، إلى جانب أن الشعر جاء تذييلا لتوقيع المأمون، كما أنه لم يعزه إلى شاعر بعينه ربما ثقة من المأمون في قدرة الموقَّع له على معرفة القائل.

ومن ذلك توقيع الخليفة المأمون على كتاب عبد الله بن طاهر: قربك يا أبا العباس إلي حبيب وأنت من قلبي – حيث كنت قريب– ، وإنما بعدت دارك نظرا بك ورغبة إليك مع قول الشاعر: [من الطويل]

رأيت دنو الدار ليس بنافع إذا كان ما بين القلوب بعيد[1]

فقوله في التوقيع: "مع قول الشاعر" دل دلالة قاطعة على أن البيت ليس له، وإنما لغيره– أبي نواس– وما أشبهه بتوقيع السابق.

ثالثا: قد يثبت التوقيع الشعري للموقع نفسه لكنه أحيانا يستلهم من شعر غيره ما يضمن به شعره، ويجعل ما يستلهمه متلاحما في شعره.

فمن ذلك توقيع أبي أحمد العسكري على أبيات الصاحب بن عباد

أروم نهوضاً ثم يثني عزيمتي تعوذ أعضائي من الرجفان

فضمنت بيت ابن الشريد كأنما تعمد تشبيهي به وعناني

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان[2]

(١) خاص الخاص ٨٩. وديوان أبي نواس ٢٣٩.

(٢) معجم الأدباء ٩١٦/٢ وما يليها.

فالأبيات له غير أنه ضمنها بيت صخر بن عمرو السلمي أخي الخنساء في البيت الأخير(١)

وقد يكون التوقيع برمته متضمنا أو مستلهما من شعر الغير، كتوقيع عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي: [من المتقارب]

أفي اليوم أبصرت ذا كله؟ فخيرا رأيت، وخيرا يكون(٢)

فالبيت في الأصل لأبي نواس من مقطوعة يصف بها جفاء محبوبته وظلمها.(٣)

وكتوقيع الخليفة المستظهر بالله [من الخفيف تاما]

غير ما طالبينَ ذحْلا ولكن مال دهر على أناس فمالوا(٤)

فهذا البيت الذي وقع به الخليفة هو في الأصل من جملة أبيات لأبي زبيد الطائي(٥)، قالها في الوليد بن عقبة بن أبي معيط(٦) الذي كان نديما

---

(١) الأصمعيات ١٤٦- الأصمعي – تحقيق/ أحمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون- الطبعة السابعة- دار المعارف – مصر ١٩٩٣م.

(٢) خاص الخاص ٩٠. وينظر: جمهرة توقيعات العرب ٢٣٥/٢.

(٣) ينظر الأبيات في ديوان أبي نواس ٢٩٣

(٤) الوافي بالوفيات ٧٧/٧.

(٥) حَرْمَلَة بن الْمُنْذر بن معد يكرب بن حَنْظَلَة بن النُّعمان بن حيَّة بن سعنة هُوَ أَبُو زبيد الطَّائِي، كَانَ نَصْرَانِيّا وَهُوَ أحد المعمَّرين يُقَال إِنَّه عَاشَ مئة وَخمسين سنة وَأدْرك الْإِسْلَام وَلم يسلم وَاسْتَعْملهُ عمر بن الْخطاب على صدقه قومه وَلم يسْتَعْمل عمر نَصْرَانِيّا غَيره وَبَقِي إِلَى أَيَّام مُعَاوِيَة. (الوافي بالوفيات ٢٨٥/١١)

(٦) الْوَلِيد بن عُقْبَة بن أبي أبانَ مُعيَط أبانَ بن ذكْوَان بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد منافٍ هُوَ أَخُو عُثْمَان بن عَفَّان لأمه .وَكَانَ من الشُّعَرَاء المطبوعين... وَكَانَ شَاعِرًا كَرِيمًا وَقَالَ ابْن عبد البرَ أخباره فِي شربه الْخمر ومنادمته أَبَا زُبيد الطَّائِي كثيرةٌ مَشْهُورَة. (الوافي بالوفيات ٢٧٦/٢٧ وما يليها)

له، عندما خرج من الكوفة مشهودا عليه بشرب الخمر، مطلعها: [من الخفيف تاما]

من يرى العير لابن أروى على ظهـ ـر المروري حداتهن عجال[1]

وكما في توقيع يحيى بن خالد البرمكي وزير الخليفة العباسي هارون الرشيد لابنه الفضل[من السريع]

انصب نهارا في طلاب العلى واصبر على فقد لقاء الحبيب

إلى آخر الأبيات [2]

فالأبيات مناط التوقيع مستلهمة من أبيات- مع اختلاف يسير في روايتها- لشاعر بصري عباسي يدعى محمد بن يسير الرياشي [3]

---

(١) الأغاني ١٤٦/٥. وطبقات فحول الشعراء ٦٠٥/٢- محمد بن سلام الجمحي- تحقيق/ محمود محمد شاكر- دار المدني – جدة.

وقد تمثل بهذا البيت أيضا مع اختلاف يسير منصور بن عمران لما عزل عن القضاء، وصار الناس يسبونه، وكان فيهم رجل يلج في أذاه، فقال له: يا هذا هل أسأت إليك قط؟ قال : لا . قال : فما حملك على هذا الذي تأتيه؟ قال سمعت الناس يشتمونك فساعدتهم! فانشد منصور: [من الخفيف تاما]

غير ما طالبين وترا ولكن مال دهر على أناس فمالوا

محاضرات الأدباء ٢٢٤/١

(٢) شذرات الذهب ٣٣١/١ وما يليها. وقد ورد الخبر في حق يزيد بن معاوية وقد بعث إليه والده معاوية بهذه الأبيات، وليس في حق الفضل بن يحيى (البداية والنهاية ٢٥٠/٨).

(٣) (شعر محمد بن يسير الرياشي-٩٣- جمع وتحقيق وتقديم د/ محمد جبار المعيبد، ود/ مزهر السوداني- مجلة الذخائر- العدد الثاني- ربيع ١٤٢٠ه/٢٠٠٠م.)

وكما في توقيع القاضي أبي محمد بن معروف،:[من الرجز تاما]

العـــالم العاقـــل ابـــن نفســـه أغنـاه جـنس علمـه عـن جنسـه

كـن ابـن مـن شـئت وكـن كَيِّسـا فإنمـا المـرء بفضـل كيسـه

كـم بـين مـن تكرمـه لغـيره وبـين مـن تكرمـه لنفسـه

مـن إنمـا حياتـه لغـيره فيومـه أولى بـه مـن أمسـه[1]

فالأبيات الثلاثة الأولى التي وقع بها القاضي – مع اختلاف يسير في الرواية – لابن دريد[2] في ديوانه.[3] وقد يكون التوقيع شطرا من الشعر مستلهما من شعر سابق كما في توقيع لزياد بن أبيه في قصة متنصح: "مهلا فقد أبلغت إسماعي"[4] فالتوقيع عجز بيت لأبي قيس بن الأسلت[5] [من السريع]

---

(١) تاريخ بغداد ٩٣/١٢.

(٢) مُحَمَّد بن الْحسن بن دُرَيْد بن عتاهية ...نزيل بَغْدَاد تنقل فِي جزاير الْبَحْر وَفَارس وَطلب الْأَدَب واللغة وَكَانَ أَبوهُ من رُؤَسَاء زَمَانه وَكَانَ ... رَأْسا فِي الْعَرَبيَّة وأشعار الْعَرَب وَله شعر كثير ... عاشَ بضعا وَتِسْعين سنة مولده سنة ثلاث وَعشْرين ومائتين وَتُوفِّي سنة إِحْدَى وَعشْرين وَثلاثمائة. (الوافي بالوفيات ٢٥١/٢ وما يليها.)

(٣) ديوان ابن دريد– ٣٥ وما يليها– تحقيق ودراسة/ عمر بن سالم– الطبعة الأولى– مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية– ٢٠١٢م.

(٤) العقد الفريد ٣٠٠/٤

(٥) أبو قيس كنيته، واختلف في اسمه، والمشهور الراجح أنه صيفي بن الأسلت، والاسلت اسمه عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس...وكانت الأوس قد أسندت أمرها إلى أبي قيس وجعلته رئيسا عليها، فكفى وساد، واختلف في إسلامه فقيل إنه أسلم، وقيل إنه وعد بالإسلام ثم سبق إليه الموت فلم يسلم. (المفضليات ٢٨٤/١– المفضل الضبي– تحقيق وشرح/ أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون– الطبعة السادسة– دار المعارف بالقاهرة)

قالت ولم تقصد لقيل الخنا مهلا فقد أبلغت أسماعي[1]

بفتح الهمزة في "أسماعي" وكسرها.

وقد يكون التوقيع الشعري من شعر الموقِّع نفسه، لكنه يضمنه بعض الإشارات المختزنة في ثقافته، ومن ذلك توقيع الشاعر محمد بن حازم الباهلي على ظهر رقعة محمد بن حميد بن قحطبة الطوسي:[من الكامل تاما ذي الضرب الأحذ المضمر]

وفعلت فعل ابن المهلب إذ كَعَمَ الفرزدقَ بالندى الغمرِ
لا أقبل المعروف من رجل ألبسته عاراً على الدهر
وبعثتَ بالأموال تُرْغِبُني كلا ورب الحشر والنشر[2]

فهو في هذه الأبيات يشبه ما صنعه محمد بن قحطبة الطوسي من إرساله له ما يجعله يكف عن هجائه بصنيع الفرزدق مع يزيد بن المهلب، حيث كتب يزيد لما فتح جرجان إلى أخيه مدركة أو مروان احمل إلي الفرزدق، فإذا شخص فأعط أهله كذا وكذا، ذكر عشرة آلاف درهم، فقال له الفرزدق: ادفعها إلي، قال: اشخص وأدفعها إلى أهلك، فأبى وخرج وهو يقول:[من الطويل]

---

(١) المفضليات ٢٨٣/١- . والبيت أيضا في: ديوان أبي قيس صيفي بن الأسلت الأوسي الجاهلي ٧٨- دراسة وجمع وتحقيق د/ حسن محمد باجودة- نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة ١٩٧٣م.

(٢) طبقات الشعراء ٣٠٩.

دعاني إلى جُرجانَ والرّيُّ دونه لآتيَهُ إنّي إذاً لزءورُ

حيث كان الفرزدق يهجو يزيد من ذي قبل(١).

وثمة أمر آخر أحب التنويه به في هذا البحث أن كثيرا من الخلفاء سواء أكانوا في العصر الأموي أم في العصر العباسي كانوا يجيدون الشعر ويقرضونه، فإن وقعوا بشعرهم دل ذلك على مقدرتهم البيانية العالية وموهبتهم الفذة الولود، ولا نستطيع بحال من الأحوال أن نقول إنهم ليسوا بشعراء لانشغالهم في أمور الخلافة والحكم، فهذا لا يحد من موهبتهم ولا يقف حجر عثرة أمام ما تسخو به قريحتهم، ففي العصر العباسي نجد المنصور والرشيد، والمهدي والد الرشيد، وكذا الأمين والمأمون وكثير غيرهم في العصر العباسي كانوا شعراء مجيدين، وكذا من قبلهم في العصر الأموي كعبد الملك بن مروان وسليمان بن عبد الملك (٢) وأحيانا كانوا يستلهمون شعر غيرهم ليدلوا بذلك على ثقافتهم وسعة اطلاعهم، وأنه

---

(١) ينظر: الأغاني ٣١٢/١٠. وينظر البيت في: ديوان الفرزدق ١٧٨- شرحه وضبطه وقدم له أ/ علي فاغور- الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ١٤٠٧ه/ ١٩٨٧م. برواية:

دعاني إلى جُرجانَ والرّيُّ دونه أبو خالدٍ إنّي إذاً لزءورُ

(٢) لتجلية أبعاد قضية أن كثيرا من الخلفاء كانوا من الشعراء ينظر بحث بعنوان: الشعراء الخلفاء- البدوي الملثم- منشور بالمجلة الثقافية ع ٤٧- الجامعة الأردنية ١٩٩٩م. وآخر بعنوان: شعر خلفاء العصر العباسي الأول- موضوعاته وخصائصه- جواهر بنت عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الشيخ- مجلة العقيق- مج ٢٧، ع ٥٣، ٤٥- نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي- ٢٠٠٥م. ورسالة دكتوراه بعنوان: شعر الخلفاء الامويين دراسة أدبية نقدية- كمال الدين إسماعيل آدم يوسف- كلية اللغة العربية – جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان ٢٠١٤م.

بوسعهم أن يوظفوا شعر غيرهم في توقيعاتهم متى كان بينها وبين الحدث مناط التوقيع مناسبة تستدعي ذلك أو تستوجبه.

تتسم معظم التوقيعات الشعرية بالخطابية الزاعقة مما يجعل اللغة مباشرة تخلو من الإيحاء وعناصر الإشارة، بل يجعل الأسلوب مسطحا، ولعل السبب الرئيس في هذا هو صدور كثير من هذه التوقيعات الشعرية من ذوي السلطان والمناصب الذين يجيدون الخطابة، سواء أكانوا خلفاء كأبي جعفر المنصور وهارون الرشيد والمأمون،، أم كانوا وزراء في الدولة العباسية كمحمد بن عبد الملك الزيات ويحيى بن خالد البرمكي وابنه جعفر، فهؤلاء جميعا من أصحاب المناصب الذين كانوا يجيدون الخطابة، فجاءت توقيعاتهم الشعرية أقرب ما تكون إلى قرارات واضحة ومحددة وصريحة، ومن ثم لا يهم الموقِّع في ذلك إلا الفكرة المراد توصيلها واتخاذها هدفا بعيدا كل البعد عن الغموض والإيحاء والغرابة.

وإذا أردنا أن نضع أيدينا على أهم سمات اللغة الخطابية في هذه المادة المخصوصة بالتوقيعات الشعرية فإننا نراها تتمثل في شيوع صيغ الاستفهام والتعجب، والأمر والنهي، والشرط، والقول على البديهة، والأمثلة على ذلك كثيرة لا نحتاج إلى إعادتها مرة أخرى.

ثانيا: الصور الفنية:

الصورة لبّ العمل الشعري الذي يتميّز به، وجوهره الدائم والثابت، ومن ثم ليست الصورة عنصراً طارئاً على الشعر، بل هي جزء لا يتجزأ من روح النص وبنيته ونسيجه. ولا أظن أن أحداً من دارسي الشعر ونقاده

قد سبق له أن أغفل الدور الخطير والحاسم الذي تلعبه الصور المجازية والبيانية في تحديد ماهية الشعر الذي رافق الإنسانية منذ بداياتها.

فالصور في الشعر تكتسب أبعاداً أكثر أهمية ودلالة؛ إذ هي تحدد له مساره وفضاءاته ومجاله الحيوي. صحيح أنها لا تتكفل وحدها بمهمة النهوض بالنص الشعري، بل تؤازرها عناصر أخرى، تتصل بالتكثيف والإيقاع والمعنى والنسق التعبيري، ولكن الواقع أن الشعر من دونها معرّض للوقوع في فخ النظم البارد والسرد التقريري والرصف الباهت للكلمات.

ومما هو متفق عليه أن الشعر ليس أفكاراً مجردة، أو تقريراً مباشراً عن الواقع، وأن الفكرة والمعنى لا قيمة لهما بالمفهوم الإبداعي ما لم يلبسا لبوس الصور المحسوسة. وهذا لم يغب عن أذهان نقادنا العرب القدامى حيث أدركوا أن وراء الصورة يقف عامل مهم يزيد فاعليتها ويقوي أجزاءها وإن لم يشيروا اليه صراحة. وسنعرض لبعض هذه الجهود ونظرة هؤلاء العلماء إلى الصورة وأولهم في هذا المضمار :

الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)

لقد أشار أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) إلى الصورة من خلال نظرته التقويمية للشعر، والإشارة إلى الخصائص التي تتوافر فيه فرأى أن "المعاني مطروحةٌ في الطريق يَعْرِفُها العجميُّ والعربيُّ، والقرويُّ والبدويُّ، وإنما الشأنُ في إقامةِ الوزنِ وتَخيّر اللفظِ، وسهولَة

المَخْرج، وصحَّةِ الطَّبْعِ، وكَثْرةِ الماءِ، وجودةِ السَّبْك، وإنما الشِّعرُ صياغةٌ وضربٌ من التصوير"(١)

ومن ثم تحدث الجاحظ في هذا النص الذي يعد من أقدم النصوص عن التصوير، متوصلا إلى أهمية جانب التجسيم وأثره في إغناء الفكر بصور حسية قابلة للحركة والنمو، تعطي الشعر قيمة فنية وجمالية ، لا يمكن للمتلقي الاستغناء عنها ، فحينما يكون الشعر جنساً من التصوير يعني هذا قدرته على إثارة صور بصرية في ذهن المتلقي، وهي فكرة تعد المقدمة الأولى للعلاقة بين التصوير والتقديم الحسي للمعنى.

أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)

فنجد أبا هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) قد أشار إلى الصورة في موضوع الإبانة عن حد البلاغة بقوله: "البلاغة كلّ ما تبلّغ به المعنى قلب السامع فتمكّنه في نفسه كتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن. وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطا في البلاغة؛ لأنّ الكلام إذا كانت عبارته رثّة ومعرضه خلقا لم يسمّ بليغا، وإن كان مفهوم المعنى، مكشوف المغزى"(٢)

---

(١) الحيوان ٦٧/٣- الجاحظ – الطبعة الثانية –دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢٤هـ.

(٢) الصناعتين ١٠- أبو هلال العسكري – تحقيق/ علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العنصرية – بيروت ١٤١٩ هـ.

وفي هذا النص إشارة من أبي هلال العسكري بأهمية الصورة في النص الأدبي وما تتركه من أثر في قلب السامع، وهو بهذا يكون قد تأثر وأفاد من فكر الجاحظ كغيره.

عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ هـ)

وعندما نتوقف عند الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) نجد أن منهجه في دراسة الصورة هو منهج متميز عما سبقه من العلماء العرب على الرغم من إفادته الكبيرة من جهودهم فقد أفاض في حديثه عن الصورة في كتابيه "أسرار البلاغة" و"دلائل الاعجاز" فمن إشارته اليها قوله "ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تُبرز هذا البيان أبداً في صورة مُستجَدَّةٍ تزيد قَدرَه نُبْلاً، وتوجب له بعد الفضلِ فضلاً"(١)

ذكر ذلك وهو يتحدث عن الاستعارة المقيدة ثم نراه في نص آخر يربط الصورة بدوافع نفسية بالإضافة الى الخصائص الذوقية والحسية حيث تجتمع هذه الخصائص جميعاً عبر وشائج وصلات حية لتعطي الصورة شكلاً ورونقاً وعمقاً مؤثراً لأن "التمثيل إذا جاءَ في أعقاب المعاني، أو بَرَزَتْ هي باختصار في مَعرِضه، ونُقِلت عن صُوَرها الأصلية إلى صورته، كساها أُبَّهةً، وكَسَبها مَنْقَبةً، ورفع من أقدارها، وشَبَّ من نارها، وضاعف قُواها في تحريك النُّفوس لها، ودعا القُلوب إليها،

(١) أسرار البلاغة ٤٢.

واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكلَفاً، وقَسَر الطِّباع على أن تُعطيها محبّة وشَغَفاً" (١).

فعبد القاهر الجرجاني لم يهمل الأثر النفسي وأهميته في تكوين وتشكيل الصورة، وما تشيره مفردات البيان العربي أو ضروبه الفنية من استجابة فنية في نفس متلقيها ، فبدا البيان العربي عند قائماً على الذوق والتذوق.

ويبلغ الجرجاني ذروة إبداعه الفني والنقدي في دراسته للصورة حينما ينظر إليها نظرة متكاملة لا تقوم على اللفظ وحده أو المعنى وحده بل إنهما عنصران مكملان لبعضهما، فيقول: "واعلمْ أنَّ قولَنا "الصورةُ"، إنما هو تمثيلٌ وقياسٌ لما نَعْلَمه بعقولنا على الذي نرَاه بأبصارنا"(٢)

وليس معنى قولنا- فيما سبق- إن لغة هذه التوقيعات تميل إلى الخطابية أنها – أي التوقيعات الشعرية- تخلو من بعض الصور الرائقة الماتعة التي لا تتوافر لدى كثير من الموقعين بل تكاد تنحصر لدى ثلة من الموقعين الشعراء، أو بمعنى آخر تكاد تنحصر الصور الرائعة لدى الشعراء الذين وقعوا بشعرهم وليس بشعر غيرهم.

---

(١) أسرار البلاغة ٤٢.

(٢) دلائل الإعجاز ٥٠٨-عبد القاهر الجرجاني- الجرجاني- تحقيق/ محمود محمد شاكر- الطبعة الثالثة- مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

ومن ثم لا نعدم صور البيان من تشبيه واستعارة وكناية في نزر يسير من هذه التوقيعات، وقد وقفنا على ذلك من خلال دراسة التوقيعات ضمن محاورها، فنجد التشبيه في توقيع أبي تمام على أبيات عبد الصمد بن المعذل: [١] وفي توقيع علية بنت المهدي[٢]

ولا يخفى اعتماد الموقعين في رسم الصورة كذلك على التشبيه الضمني، كما في توقيع محمد بن عبد الملك الزيات على ظهر قصيدة أبي تمام، بقوله: "رأيتك سمح البيع إلخ" [٣] وتوقيع مُحَمَّد بْن عَبْد اللَّه بْن طَاهِر: "حسن رأي الأمير في العشاق"...إلخ.[٤]

---

(١) ينظر التوقيع في: وفيات الأعيان ١٣/٢. وينظر: ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ٤/ ٣٥١. وجمهرة توقيعات العرب ٤٤٦، وفي موضعه من المحور التاسع "التوقيعات الهجائية".

(٢) ينظر التوقيع في : الأوراق قسم أخبار الشعراء ٤٣٧/٣ وما يليها، وفي موضعه من المحور الثاني: الرد على المستشفعين.

(٣) ينظر التوقيع في: زهر الأداب ٣١٢/١. وجمهرة توقيعات العرب ٣٢٨/٢. وفي موضعه من المحور الثالث: الإخوانيات.

(٤) ينظر التوقيع في: الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ٣٥٤ وما يليها. وفي موضعه من المحور السادس: الرد على الشكاة والمتظلمين.

كذلك لا نعدم أن نظفر بالاستعارة كما في توقيع أبي هارون، خليفة بن يزداد في قوله: "فر الغلام فطار قلب الأحول"(١) وفي توقيع ابن داود على بيتي ابن الرومي" "بسهام الفراق والاشتياق" (٢)

فهي استعارة مكنية حيث شبه الشاعر بفارس ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو السهم ويرشح ذلك كلمتا قتيل وصريع كما لا يخفى ما بين التلاقي والافتراق من طباق.

أما الكناية فقليلة جدا كما في "سماء الجور" من توقيع جعفر بن يحيى البرمكي حيث وقع في رقعة لأهل فارس يشكون جور عاملهم. (٣)

ومن ثم فإن الصورة في التوقيعات الشعرية صارت مباشرة تعتمد على اللغة التقريرية فإذا ما اعتمدت شيئا من التشبيه أو الاستعارة أو الكناية فإنها تعتمده بالقدر الذي يضيء جزئية تخدم التعبير دون استسلام لها، لذلك كان الوضوح سمة بارزة في التوقيعات الشعرية.

---

(١) ينظر التوقيع في: معجم الأدباء ٤٢٩/١. وينظر: جمهرة توقيعات العرب ٣٢٥/٢. وفي موضعه من المحور السابع: الظرف والمفاكهات.

(٢) ينظر التوقيع في: وفيات الأعيان ٢٦١/٤. وفي موضعه من المحور السابع: الظرف والمفاكهات.

(٣) ينظر التوقيع في: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ٥٣/١١، وفي موضعه من المحور السادس: الرد على الشكاة والمتظلمين.

ثالثا: الموسيقى:

استبحرت البحور الشعرية في هذه التوقيعات الشعرية، ومن خلال هذا الرسم يتضح عدد مرات ورود البحر الشعري سواء أكان تاما أم مقطوعا:

البحر الشعري	التام	المجزوء	المشطور	المخلع
الكامل	٥	٢	–	–
الطويل	٨		–	–
الخفيف	٨	١	–	–
البسيط	٢	–	–	١
الوافر	٢	–	–	–
المتقارب	٢		–	–
الرجز	١	١	–	–
السريع	٣		–	–
الرمل	١	١	–	–
المجتث	–	٥	–	–

ويلحظ ما دمنا بصدد الجانب الموسيقي أننا أحيانا نجد بعض التوقيعات النثرية التي تأتي على وزن بحر من بحور الشعر، كما في توقيع جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي لبعض عماله: "قد كَثُرَ شاكوكَ، وقل شاكروك، فإما

عَدَلْت، وإما اعتزلت"[1] فالجزء الأخير من التوقيع شطر بيت من المتقارب.

وكما في توقيع أبي عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار لزياد الحارثي: يصنع الله لك! [2] وقد ذكرت أن هذه الجملة ممكن أن تكون من ثنائي الخبب أو ثنائي الرمل أو ثنائي المديد. على عدة افتراضات [3]

وقد وردت بعض النماذج تتأرجح بين بحرين شعريين ومن ذلك توقيع الصاحب بن عباد على رقعة وجهها إلى قاضي قم

أيها القاضي بقم قد عزلناك فقم[4]

فهذا البيت إما أن يكون من المديد مجزوءا أو من الرمل مجزوءا وهو أقرب.

وكتوقيع أحمد بن المدبر الكاتب:

ما عندنا شيء فنعطيهِ ولا يفي بالشكر شكريهِ
فإن رضِي بالشّعر عن شعره عارضت في حسن قوافيه
وإن يكن تقنعه دعوة دعوت ربي أن يعافيه

---

(١) تحفة الوزراء ٩٩- الثعالبي- تحقيق د/ سعد أبو دية- الطبعة الأولى- دار البشير – عمان الأردن ١٤١٤ه/ ١٩٩٤م.

(٢) زهر الآداب ٢/ ١١٣.

(٣) ينظر ذلك في الفصل الخاص بالدراسة الموضوعية.

(٤) معجم البلدان ٣٩٨/٤. والبيت ليس في ديوان الصاحب بن عباد بشرح وضبط/ إبراهيم شمس الدين، ولا في ديوانه بتحقيق الشيخ/ محمد حسن آل ياسين.

وإن رضِـــى ميســـور مـــا عنـــدنا أمـــرت نجحـــا أن يغديـــه[1]

فهذه الأبيات تتأرجح نسبتها إلى [الســـريع] [أو الكامـــل التـــام ذي العروض والضرب الأحذين] فإذا نسبت الأبيات إلى الكامل فهذا يتطلب أن تظهر حركات الإعراب على الكلمات (شكريه، قوافيه، يعافيه، يغديه) لكن مما يجعل الأبيات جائزة العزو إلى السريع وقوع الكلمات (شعره، دعوة، عندنا) أعاريض للأبيات وهي على وزن (مفعلا) التي تنقل إلى (فاعلن)، ولم يرد في الكامل تاما عروض بهذا الوزن(على هذا النحو).

أما بالنسبة للقوافي فقد جاءت على حروف النون خمس مرات، والراء واللام والدال والتاء والعين أربع مرات، والميم والقاف والياء ثلاث مرات، والباء مرتين، والسين والجيم والكاف والهاء مرة واحدة.

غاية الأمر أن هذه الحروف التي وقعت رويا أو قوافي جاءت بعيـــدة عما أسماه الدكتور عبد الله الطيب المجذوب القوافي الحوش، وهي: "الثاء والخاء والذال والشين والطاء والغين".

كما تخلل التضمين العروضي بعض التوقيعات، فثمة تضمين متـــداول أي يقع على نطاق ضيق أي بين البيت والذي يليه مباشرة، كما في توقيع إبراهيم بن محمد بن المدبر.[2] وكما في توقيع الشاعر علي بن محمد بن

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ٤٣٢. وينظر: جمهرة توقيعات العـــرب ٢٢٠/٢.

(٢) ينظر التوقيع في: إعتاب الكتاب ١٥٨، وفي موضعه من المحور الثالث الخـــاص بالإخوانيات، وقد أشرت إلى ذلك.

نصر على جزء من كتاب الروضة الذي أهداه مصنفه المبرد لوالده محمد بن نصر. [١] وثمة تضمين مطول أي بين البيت وغيره، ولكن تطول المسافة بينهما، كما في توقيع ابن الزيات على أبيات الصولي.[٢]

والحق أن التضمين لا يعد عيبا إذا جاء عفويا غير متكلف أو مؤد إلى تعقيد لفظي، بل أراه دلالة على اتساع نفس الشاعر، وإنما عده بعض النقاد معيبا تأكيدا للقول بوحدة القصيدة الشعرية.

رابعا: بنية التوقيع:

أراني هنا مدفوعا لكتابة هذه الجزئية في الدراسة الفنية لنرد ما ذكرته د/ سامية حمدي صديق من أن "توقيع الشعر يشمل بيتا واحدا لا يزيد على ذلك"[٣]

فهذا كلام لا يستقيم جملة ولا تفصيلا؛ لأن واقع الدراسة يرده ويرفضه، لأنه قائم على التعميم المرفوض في الدراسات الأدبية والنقدية.

ومن ينعم النظر في التوقيعات الشعرية يلحظ أن بنيتها قد تنوعت فقد تكون شطر بيت كما في توقيع زياد بن أبيه في قصة متنصح: "مهلا فقد

---

(١) ينظر التوقيع في: تاريخ بغداد ٦٠٣/٤، وجمهرة توقيعات العرب ٤٥٦/٣، وفي موضعه من المحور الثامن "التوقيعات الهجائية" وقد أشرت إلى ذلك.

(٢) إعتاب الكتاب ١٤٧ وما يليها، وفي موضعه من المحور الأول: الرد على طالبي العفو والصفح.

(٣) فن التوقيعات في النثر العربي- تأصيل وتحليل. ١٢٥ د سامية حمدي صديق – مجلة كلية الآداب جامعة المنصورة – العدد ٣٦- يناير ٢٠٠٥م.

أبلغت إسماعي"[1] فهو عجز بيت لأبي قيس بن الأسلت [من السريع] كما ذكرت من قبل.

وأظن أن الموقع قد يلجأ لمثل ذلك لضيق المقام، فالتوقيع قاله الموقع في حالة توترت فيها حالته النفسية،

وقد يكون التوقيع بيتا يتيما أو درة، وهذا كثير، إذ يلجأ إليه الموقع – غالبا– إذا كان من أصحاب السلطة أو الحكم، فيعمد إلى الإيجاز غير المخل، فيكون توقيعه تعجبا أو سخرية أو استفهاما أو حكمة. أو أن الموقع أراد بتوقيعه بالبيت المفرد أن يؤكد على وحدة البيت التي كانت سائدة في الأحكام النقدية عند القدماء، وفي هذه الحالة يقوم التوقيع على الفكرة والعمل الحاد المضني أكثر من الإحساس

وقد يطول التوقيع ليصبح بيتين، وثلاثة أي "نتفة شعرية"، وهذا كثير جدا في هذه الدراسة ولا شك أن الموقع قد يعمد إلى ذلك إذا كان التوقيع مجاوبة على أبيات مرسلة من الموقَّع إليه، وكأن الموقع لديه سعة في التوقيع ليظهر للموقع إليه أن نفسه الشعري كنفسه تماما. أو كان التوقيع إجابة على سؤال سائل كما في توقيعات الفقهاء في الظرف والفكاهة.

وقد يطول التوقيع ليصير أربعة أبيات أو خمسة أو ستة، فيصبح التوقيع – حينئذ– مقطعة شعرية، وإخال أن الموقع يلجأ إلى ذلك إذا كان

(١) العقد الفريد ٤/٣٠٠

الأمر محتاجا إلى تعليل وسرد تفاصيل، كما في توقيع هارون الرشيد على رسالة الاستعطاف بعث بها يحيى بن خالد البرمكي إليه من السجن [١]

أو يلجأ الموقع إلى ذلك العدد من الأبيات إذا كان في مقام نصح أو توجيه للموقَّع إليه، كما في توقيع يحيى بن خالد البرمكي وزير الخليفة العباسي هارون الرشيد لابنه الفضل الذي قلده هارون الرشيد أعمال خراسان فانشغل بالصيد وإدمان الملذات عن النظر في أمر الرعية، فكتب إليه والده يحيى بن خالد يردعه وينصحه بستة أبيات صارت توقيعا.[٢]

(١) ينظر التوقيع في: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ٤١١/٣ وما بعدها. وينظر جمهرة توقيعات العرب ٧٩/١. وفي المحور الأول: الرد على طالبي العفو والصفح.

(٢) ينظر التوقيع في: شذرات الذهب ٣٣١/١. وفي المحور العاشر في الجزئية الخاصة بالنصح والإرشاد من "متفرقات".

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الطويلة في التواقيع الشعرية وقف الباحث على مجموعة من النتائج، منها:

١- تنوع المضامين الفكرية للتوقيعات الشعرية، فلم تقتصر على مضمون واحد أو غرض واحد.

٢- قلة الصور الفنية، ويرجع ذلك إلى طبيعة اللغة التقريرية التي تتناول الحقائق والأفكار بأسلوب عقلي منطقي يبتعد نوعا ما عن العاطفة.

٣- أن فن التوقيعات الشعرية يكاد يحمل سمات أسلوبية متجانسة تتكرر في معظم نصوصه.

٤- على الرغم من أن التوقيعات الشعرية عالجت موضوعات عديدة وشملت أغراضا متنوعة، فقد كثر الاعتماد فيها على الأفعال أكثر من الأسماء، وذلك لأن معظمها جاء ردودا على مطالب متباينة بتباين الموقف.

٥- لا يشترط في التوقيع أن يكون كلاما مبتكرا، بل قد يستلهم الموقع من شعر غيره إذا استدعى الموقف ذلك أو كان الموقع لا يجيد النظم.

٦- قد يصبح التوقيع الشعري وثيقة آمنة في عزو الشعر الحائر عزوا حقيقيا إذا كان منسوبا إلى أكثر من شاعر.

٧- أسهمت التوقيعات الشعرية بما تحمل من فكر صائب وحكم بليغة وتوجيهات سديدة في إثراء الأدب والفكر، كما أنها فتحت قيما جديدة للأدب العربي هذا بالإضافة إلى أهميتها التاريخية والسياسية والاجتماعية والحضارية التي تجعل منها وثائق أدبية ونقدية وتاريخية جديرة بالعناية.

٨- لم يقتصر التوقيع الشعري على الرجال فقط، بل ضرب النساء والجواري بسهم

فيه، صحيح أن حظهن منه لم يكن كحظ الرجال في الكثرة، لكن اتسمت توقيعاتهن بالظرف والدعابة والخفة.

١٠- قد تكون هذه التوقيعات الشعرية المنسوبة لشعراء ليست موجودة في دواوينهم مادة خصبة للمحققين والقائمين على استدراك ما فات المجاميع الشعرية من بيت يتيم أو نتف أو مقطوعات.

١١- جاءت أغلب التوقيعات في بنية المقطعة الشعرية لأنها عبارة عن مجاوبات شعرية تستدعي حمل فكرة مكتملة مقنعة.

١٢- قد تكون التوقيعات الشعرية في أدبا القديم إرهاصا لما يسمى في العصر الحديث بقصيدة الأبيجرام، أو الومضة أو التوقيعة أو الخاطرة أو الشذرة أو الأنقوشة أو التلكس أو القصيدة المضغوطة أو القصيدة المركزة أو القصيدة الكتلة أو الدفقة أو اللمحة أو اللاقطة أو الفقرة أو قصيدة المفارقة أو القصيدة التأملية أو العنقودية أو قصيدة الفكرة أو الشذرة أو الفلاشية أو الإشراقية أو القصيدة القصيرة أو القصيدة الكثيرة جدا الومضة أو قصيدة الهايكو.(١)

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ هود: ٨٨

---

(١) لمزيد من المعلومات حول هذا الأمر ينظر بحث بعنوان: الومضة الشعرية من "الأبيجرام" إلى "القصيدة التفاعلية" من ص ٧٥-٩٢- د/ هدى بنت عبد الرحمن إدريس الدريس- مجلة كلية الآداب جامعة سوهاج- العدد ٣٦ (مارس ٢٠١٤م).

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم:

ثانيا: المصادر والمراجع:

١-الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي- د/ محمد عبد المنعم خفاجي- دار الجيل بيروت ١٤١٠ه/١٩٩٠م.

٢-أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني- قرأه وعلق عليه/ محمود محمد شاكر- نشر مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة.

٣-إعتاب الكتاب- ابن الأبار- حققه وعلق عليه وقدم له/ الدكتور صالح الأشتر- الطبعة الأولى- مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م.

٤-الأعلام - الزركلي- الطبعة الخامسة عشرة- دار العلم للملايين - بيروت لبنان.

٥-الأغاني- أبو الفرج الأصفهاني- تحقيق/ سمير جابر- الطبعة الثانية - دار الفكر- بيروت.

٦-الاقتضاب في شرح أدب الكتاب- أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، تحقيق ا/ مصطفى السقا، د/ حامد عبد المجيد- دار الكتب المصرية ١٩٩٦م.

٧-الأوراق قسم أخبار الشعراء- الصولي - شركة أمل، القاهرة ١٤٢٥ هـ

٨-البداية والنهاية- ابن كثير - تحقيق/ علي شيري- دار إحياء التراث العربي- الطبعة: الأولى- ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٩-البصائر والذخائر- أبو حيان التوحيدي- تحقيق د/ وداد القاضي- الطبعة الأولى- دار صادر – بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.

١٠-تاريخ الأمم والملوك- الطبري- الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٧ه.)

١١-تاريخ بغداد- الخطيب البغدادي- تحقيق د/ بشار عواد معروف- الطبعة الأولى- دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

١٢-تاريخ دمشق- ابن عساكر- تحقيق/ عمرو بن غرامة العمروي- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م.

١٣-تحفة الوزراء- الثعالبي- تحقيق د/ سعد أبو دية- الطبعة الأولى- دار البشير – عمان الأردن ١٤١٤ه/ ١٩٩٤م.

١٤-تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي- اختصار: أبو المرشد سليمان بن علي المعري- تحقيق د/ مجاهد محمد الصواف، و/ محسن غياض عجيل- دار المأمون للتراث ١٣٩٩ه/ ١٩٧٧م.

١٥-الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي- المعافى بن زكريا- تحقيق/ عبد الكريم سامي الجندي- الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

١٦-جمع الجواهر في الملح والنوادر- أبو إسحاق الحصري- تحقيق/ علي محمد البجاوي- الطبعة الثانية – دار الجيل بيروت لبنان.

١٧-جمهرة توقيعات العرب- د/ محمد محمود الدروبي، ود/ صلاح محمد جرار- الطبعة الأولى- مركز زايد للتراث والتاريخ بدولة الإمارات العربية المتحدة ١٤٢١ه/٢٠٠١م.

١٨-حماسة الخالديين (الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين)- الخالديان- تحقيق د/ محمد علي دقة- وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية ١٩٩٥م.

١٩-خاص الخاص- أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي- تحقيق/ حسن الأمين- دار مكتبة الحياة - بيروت / لبنان.

٢٠-الدر الفريد وبيت القصيد- محمد بن أيدمر المستعصمي- تحقيق د/ كامل سلمان الجبوري- الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان ١٤٣٦ه/٢٠١٥م.

٢١-دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجاني- الجرجاني- تحقيق/ محمود محمد شاكر- الطبعة الثالثة- مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

٢٢-ديوان ابن حيوس- عني بنشره وتحقيقه/ خليا مردم بك- دار صادر بيروت- ١٤٠٤ه/١٩٨٤م.

٢٣-ديوان ابن دريد- تحقيق ودراسة/ عمر بن سالم- الطبعة الأولى- مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية- ٢٠١٢م.

٢٤-ديوان ابن زيدون- شرح وضبط وتصنيف/ كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة- الطبعة الأولى- مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاؤه بمصر ١٣٥١ه/١٩٣٢م.

٢٥-ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي- تحقيق/ محمد عبده عزام- الطبعة الرابعة - دار المعارف.

٢٦-ديوان أبي قيس صيفي بن الأسلت الأوسي الجاهلي- دراسة وجمع وتحقيق د/ حسن محمد باجودة- نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة ١٩٧٣م.

٢٧-ديوان أبي نواس- حققه وضبطه وشرحه/ أحمد عبد المجيد الغزالي- دار الكتاب العربي – بيروت لبنان.

٢٨-ديوان جرير – تحقيق د/ نعمان محمد أمين طه- الطبعة الثالثة – دار المعارف ١٩٨٦م.

٢٩-ديوان الحطيئة- شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني- تحقيق/ نعمان أمين طه- الطبعة الأولى- شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٧٨ه/١٩٥٨م.

٣٠-ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري- مراجعة / محمد جبار المعيبد، جمع وتحقيق/ شاكر العاشور- الطبعة الأولى- دار الطباعة الحديثة بالعراق ١٩٧٢م.

٣١-ديوان الصاحب بن عباد- تحقيق الشيخ/ محمد حسن آل ياسين- الطبعة الثانية- دار القلم بيروت لبنان/ مكتبة النهضة بيروت بغداد ١٣٩٤ه/ ١٩٧٤م.

٣٢-ديوان الصاحب بن عباد- شرحه وضبطه وقدم له/ إبراهيم شمس الدين- الطبعة الأولى- منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٤٢٢ه/ ٢٠٠١م.

٣٣-ديوان الطرماح- تحقيق/ عزة حسن- الطبعة الثانية- دار الشرق العربي- بيروت- لبنان ١٤١٤ه/١٩٩٤م.

٣٤-ديوان الغزي – تحقيق ودراسة د/ عبد الرزاق حسين- مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

٣٥-ديوان الفرزدق – شرحه وضبطه وقدم له أ/ علي فاغور- الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ١٤٠٧ه/ ١٩٨٧م.

٣٦-ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات- شرح وتحقيق د/ جميل سعيد- المجمع الثقافي (د.ت).

٣٧-زهر الأداب وثمر الألباب- الحصري القيرواني- تحقيق د/ يوسف على طويل- الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.

٣٨-زهر الأكم في الأمثال والحكم- نور الدين اليوسي – تحقيق د/ محمد حجي، د/ محمد الأخضر- الطبعة: الأولى- الشركة الجديدة- دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٣٩-سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي- عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي- تحقيق/ عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض- الطبعة: الأولى- دار الكتب العلمية – بيروت- ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٤٠-سير أعلام النبلاء- الذهبي- تحقيق/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط- الطبعة الثالثة – مؤسسة الرسالة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م.

٤١-شذرات الذهب في أخبار من ذهب- الحنبلي- تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط- دار بن كثير – دمشق ١٤٠٦هـ.

٤٢-شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري»- محمد بن محمد حسن شُرَّاب- الطبعة الأولى- مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٧ م.

٤٣-الصناعتين- أبو هلال العسكري - تحقيق/ علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العنصرية - بيروت ١٤١٩ هـ.

٤٤-طبقات الشعراء- ابن المعتز - تحقيق/ عبد الستار أحمد فراج- الطبعة الثالثة- دار المعارف بمصر.

٤٥-طبقات فحول الشعراء -محمد بن سلام الجمحي- تحقيق/ محمود محمد شاكر- دار المدني - جدة.

٤٦-العقد الفريد - ابن عبد ربه الأندلسي - الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية - بيروت١٤٠٤هـ.

٤٧-العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده - ابن رشيق القيرواني- تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد - الطبعة الخامسة - دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة بيروت لبنان ١٤٠١ هـ -١٩٨١م

٤٨-فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين - د/ مصطفى الشكعة- القاهرة ١٩٥٨م.

٤٩-قرى الضيف- ابن أبي الدنيا - تحقيق/ عبدالله بن حمد المنصور- الطبعة الأولى- أضواء السلف - الرياض ١٩٩٧م.

٥٠-كتاب بغداد- ابن طيفور - تحقيق/ السيد عزت العطار الحسيني - الطبعة الثالثة مكتبة الخانجي - القاهرة / مصر ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٥١-كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل - أبو الطيب الوشاء – تحقيق د/ يحيى وهيب الجبوري- الطبعة الأولى- دار الغرب الإسلامي ١٤١١ه/١٩٩١م.

٥٢-مجمع الأمثال- الميداني- تحقيق/ محمد محيى الدين عبد الحميد- دار المعرفة – بيروت- لبنان.

٥٣-مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج، وعلى أبيات مفردة منسوبة إليه- اعتنى بتصحيحه وترتيبه/ وليم بن الورد – دار ابن قتيبة للنشر والتوزيع بالكويت.

٥٤-محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء - أبو القاسم الأصفهاني تحقيق/ عمر الطباع- دار القلم – بيروت. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٥٥-محمد بن عبد الملك الزيات- سيرته، أدبه، تحقيق ديوانه- د/ يحيى الجبوري- الطبعة الأولى – دار البشير – عمان- الأردن ٢٠٠٢م.

٥٦-مسالك الأبصار في ممالك الأمصار- ابن فضل الله العمري- أشرف على تحقيق الموسوعة وحقق هذا السفر/ كامل سلمان الجبوري- الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ٢٠١٠م.

٥٧-المستقصى في أمثال العرب - الزمخشري- الطبعة الثانية - دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٧م.

٥٨-مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥٢٩/١١- أحمد بن حنبل تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، وآخرون- إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي- الطبعة الأولى- مؤسسة الرسالة ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١

٥٩-معجم الأدباء- ياقوت الحموي- تحقيق د/ إحسان عباس- الطبعة الأولى- دار الغرب الإسلامي- بيروت ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.

٦٠-معجم البلدان ٣٩٧/٤- ياقوت الحموي- دار الفكر – بيروت.

٦١-معجم مقاييس اللغة- ابن فارس- تحقيق/ عبد السلام محمد هارون- دار الفكر- ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٦٢-المفضليات- المفضل الضبي- تحقيق وشرح/ أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون- الطبعة السادسة- دار المعارف بالقاهرة.

٦٣-المنتظم في تاريخ الأمم والملوك- ابن الجوزي- تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا- الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٦٤-الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء- المرزباني- تحقيق/ علي محمد البجاوي- نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

٦٥-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- ابن تغري بردي- وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

٦٦-نهاية الأرب في فنون الأدب- النويري – الطبعة الأولى- دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ١٤٢٣ هـ.

٦٧-الوافي بالوفيات- الصفدي- تحقيق/ أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى- دار إحياء التراث – بيروت ١٤٢٠ه/٢٠٠٠م.

٦٨-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- ابن خلكان – تحقيق د/ إحسان عباس- دار صادر – بيروت ١٩٠٠م.

ثالثا: المجلات والدوريات

١- مجلة الذخائر:

شعر محمد بن يسير الرياشي- جمع وتحقيق وتقديم د/ محمد جبار المعيبد، ود/ مزهر السوداني- العدد الثاني- ربيع ١٤٢٠ه/٢٠٠٠م.

٢- المجلة الثقافية:

الشعراء الخلفاء- البدوي الملثم- ع ٤٧- الجامعة الأردنية ١٩٩٩م.

٣- مجلة العقيق:

شعر خلفاء العصر العباسي الأول- موضوعاته وخصائصه- جواهر بنت عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الشيخ- مج ٢٧، ع ٥٣، ٤٥- نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي- ٢٠٠٥م.

٤- مجلة كلية الآداب جامعة سوهاج:

الومضة الشعرية من "الأبيجرام" إلى "القصيدة التفاعلية" من ص ٧٥- ٩٢- د/ هدى بنت عبد الرحمن إدريس الدريس- - العدد ٣٦ (مارس ٢٠١٤م).

٥- مجلة كلية الآداب جامعة المنصورة:

فن التوقيعات في النثر العربي- تأصيل وتحليل- د سامية حمدي صديق - العدد ٣٦- يناير ٢٠٠٥م.

٤- **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**- المجلد ١٢- عدد ٣٤- ١٩٨٨م.

ديوان محمد بن حازم الباهلي تكملة وإصلاح - جمع وتحقيق/ محمد خير البقاعي.

٥- **مجلة المورد**: مج ٦، ع ٢، ص ٢٠٣- وزارة الثقافة والإعلام- دائرة الشئون الثقافية- بغداد ١٩٧٧م.ديوان محمد بن حازم الباهلي- تحقيق/ شاكر العاشور.

رابعا: الرسائل العلمية:

١- شعر الخلفاء الامويين دراسة أدبية نقدية- كمال الدين إسماعيل آدم يوسف- رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغة العربية – جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان ٢٠١٤م.

٢- فن التوقيعات في الأدب العربي في عصوره الزاهرة من العصر الإسلامي حتى نهاية العصر العباسي، تاريخا ودراسة للدكتور/ محمد سالم قريميدة- رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية الآداب جامعة طرابلس بليبيا ٢٠١٢م.